

السياحة الدينية إلى الحرمين الشريفين

بين الدوافع والانضباط

تأليف

أ.د عطية عبد الحليم صقر

أستاذ المالية العامة في جامعات
الأزهر، وأم القرى، والجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة (سابقاً)

www.profattiasakr.net

m_attia_sakr@yahoo.com

الموقع الإلكتروني

البريد الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

معلومات أساسية عن السياحة

مفهوم السياحة في اللغة العربية:

يري ابن فارس في معجم مقاييس اللغة^(١) أن السَّيْح هو: الماء الظاهر الجاري على سطح الأرض، حيث يقال: ساح الماء يسبح سباحاً وسَيْحَانًا إذا جري على سطح الأرض، وإلى هذا المعنى ذهب أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة وأسرار العربية^(٢).

ومن هذا المفهوم يمكننا إطلاق مصطلح السياحة على تنقل الإنسان من مكان إلى مكان آخر، وذلك على نحو ما يذكر ابن منظور في لسان العرب^(٣)، كما يمكننا إطلاق لفظة سائح على كل شخص يذهب في الأرض متنقلاً بين الأماكن ومتجولاً فيها دون مقام أو استقرار دائم في مكان معين.

السياحة في آيات القرآن الكريم:

لقد وردت مادة (مشتقات) لفظة السياحة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم في الآيات ٢، ١١٢ من سورة التوبة وفي الآية ٥ من سورة التحريم في قوله تعالى:

(١) ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ من الآية ٢٠١ من سورة التوبة

^(١) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - دار الجيل بيروت ج٣ ص ١٢٠.

^(٢) فقه اللغة وأسرار العربية - لأبي منصور الثعالبي - المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٩ ص ٣٠٦.

^(٣) لسان العرب - ابن منظور - دار صادر بيروت ١٤١٢ ج٢ ص ٤٩٢ ماد سباح.

والمعني في الآية كما جاء في المختصر في تفسير القرآن الكريم^(١) "فسيروا أيها المشركون في الأرض مدة أربعة أشهر آمين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان..."

وذلك حيث دلت لفظة السياحة على السير في الأرض بسهولة على سبيل الترفيه والإباحة إلى حيث يريد السائح.

(٢) قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعِبَادُونَ الْحَمِيدُونَ السَّائِحُونَ﴾ ... الآية ١١٢ من سورة التوبة "حيث أوردت هذه الآية عدداً من صفات المؤمنين الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله بأن لهم الجنة"^(٢) وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله، وقد كان من جملة هذه الصفات صفة (السائحون).

(٣) قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ الآية ٥ من سورة التحريم والشاهد في هذه الآية هو ورود صفة السائحات كوصف لأمهات المؤمنين البدائل التي هدد الوحي بتزويجهن لرسول الله ﷺ حال طلاقه لأمهات المؤمنين الأصلية، على أنه يجب التنبيه هنا إلى اختلاف المفسرين حول المقصود بوصف السائحات حيث ذكروا عدداً من المعاني منها: الصائمات ومنها المجاهدات في سبيل الله، والمهاجرات، والمسافرات في طلب العلم والسائرات في الأرض للاعتبار وأخذ العظة.

^(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم تصنيف جماعة من علماء التفسير - مركز تفسير للدراسات القرآنية - الرياض ص ١٤٣٩ هـ.

^(٢) المرجع السابق نفسه - تفسير الآيتين ١١١، ١١٢ من سورة التوبة.

السياحة في السنة النبوية:

وردت لفظة السياحة ومشتقاتها في مواضع منها:

(٤) ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يتمني أن تكون هاجر زوج خليل الله إبراهيم وأم ولده إسماعيل قد تركت ماء زمزم يسبح على الأرض دون حواجز وقال: "يرحمها الله لو تركتها لكانت عيناً سائحة تجري إلى يوم لقيامة"^(١).

(٥) ما رواه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرک عن أبي أمامه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله"^(٢).

(٦) ما رواه الترمذي في سننه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قفل (رجع) من غزوة أو عمرة أو حج "آيئون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون..."^(٣) والمعني: أننا سائرون لمطلوبنا.

(٧) ما رواه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض..."^(٤)

المعاني الاحتمالية للسياحة في نصوص القرآن والسنة:

ذكر العلماء في تفسير مصطلح السياحة الوارد في النصوص السابقة جملة من المعاني منها:

١ - أنها السير في الأرض للاعتبار والاتعاظ وأغراض ودوافع مشروعة.

^(١) مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة بيروت ج ٤ حديث رقم ٢٢٨٥.

^(٢) سنن أبي داود - كتاب الجهاد - دار الحديث سوريا ج ٣ ص ١٢ حديث رقم ٢٤٨٦.

^(٣) سنن الترمذي - كتاب الحج - دار الكتب العلمية بيروت ج ٣ ص ٢٨٥ حديث رقم ٩٥٠.

^(٤) سنن الترمذي - كتاب الدعوات - حديث رقم ٣٦٠٠.

- ٢- أنها السفر لطلب العلم أو لأداء الحج والعمرة والزيارة.
- ٣- أنها الجهاد في سبيل الله لما ورد في الحديث: "سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله".
- ٤- أنه الصيام وقد نقل هذا المعنى الإمام الطبري في جامع البيان ج ١١ ص ٣٩ عن أم المؤمنين عائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن مسعود والحسن البصري وقد أخرج الطبري عن أم المؤمنين عائشة قالت: "سياحة هذه الأمة الصيام".
- ٥- أنها مطلق السير المشروع في الأرض وفق الضوابط الشرعية لأغراض ودوافع مجردة من المعاصي والآثام، على نحو ما أمر به القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عُقْبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الآية ١١ الأنعام وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عُقْبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ الآية ٤٢ الروم وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية ٢٠ العنكبوت.

وهذا المعنى الأخير هو المعنى الذي ترجحه هذه الدراسة، ويمكن حمل الأثر الوارد عن أم المؤمنين عائشة بأن سياحة هذه الأمة الصيام، بأنه وعلى فرض صحة رفعه الى رسول الله ﷺ محمول على مشروعية التزام السائح بالإمساك عن كل ما يبطل صوم الصائم أو يفسده من أكل أو شرب المحرمات والنظر إلى العورات وفعل المنهيات والانغماس في اللهو الحرام أو الاشتغال به عن أداء الواجبات الشرعية، وذلك هو الجهاد الأكبر جهاد النفس والشیطان والهوى، ذلك لأن السياحة إذا تضمنت ما نهت

عنه الشريعة كانت سياحة ممنوعة وغير مشروعة، وهي التي خصت بقول الرسول ﷺ: "لا سياحة في الإسلام"^(١).

بواعث وأغراض السياحة المشروعة في الشريعة الإسلامية:

يقسم علماء المسلمين النشاط السياحي إلى نوعين: نشاط سياحي ممنوع شرعاً، وآخر مشروع ومرغوب فيه، وينبنى هذا التقسيم على نوع الباعث أو الدافع أو الغرض من النشاط وما إذا كان يتضمن أحد المحاذير الشرعية أو كان يخالف الضوابط التي أقرها المشرع أم لا.

وتتعدد بواعث وأغراض ودوافع السياحة المشروعة عند بعض الباحثين^(٢) فتشمل:

- ١ - دافع الدعوة إلى دين الله.
- ٢ - دافع زيارة البقاع والأماكن المقدسة.
- ٣ - دافع التفكير والاعتبار.
- ٤ - دافع طلب العلم.
- ٥ - دافع التزاور والتراحم.
- ٦ - دافع العلاج وطلب الشفاء.
- ٧ - دافع التجارة وطلب الرزق الحلال.
- ٨ - دافع الاستجمام والترويح عن النفس.

^(١) مصنف عبدالرزاق الصنعاني - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت ج ٨ ص ٤٤٨ باب الخزامة حديث رقم ١٥٨٦.

^(٢) د/ علي بن أحمد الأحمدي - السياحة ومعالج الدعوة إلى الله - مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٧ هـ ص ١٥٥ وما بعدها.

وسوف نقصر حديثنا على دافعين فقط، أما الأول فلصلته الوثيقة بموضع هذه الدراسة، وأما الثاني فلكونه يشكّل جوهر السياحة بمعناها العام، وهما:

١. دافع زيارة البقاع والأماكن المقدسة (الحرم المكي، والحرم المدني).
٢. دافع السياحة الترفيهية والترفيهية.

أولاً: دافع زيارة الحرمين الشريفين (للحج والعمرة والزيارة):

لقد حث المشرع الإسلامي الحكيم على السياحة الدينية وشد الرّحال إلى ثلاثة مساجد على سطح الأرض على سبيل الحصر، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"^(١).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى المسجد الحرام مقصداً ومثابة للناس وأمناً تهفو إليه أرواحهم، وتحن إليه أفئدتهم وتشتاق إليه نفوسهم، فلا يقضون منه وطراً مهما تعددت زياراتهم إليه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الآية ١٢٥ من سورة البقرة، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ الآية ٣٧ إبراهيم وقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الآيتان ٩٧، ٩٦ آل

^(١) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ١١٨٩ وصحيح مسلم

كتاب الحج - باب فضل المساجد الثلاثة - حديث رقم ٣٣٨٤.

عمران وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم يقول ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه"^(١) (إلا المسجد الحرام).

فقد دلت هذه النصوص وغيرها على جملة من الأمور والمقاصد من أهمها:

١- أن الحج إلى بيت الله الحرام فريضة إسلامية مكانية على كل مسلم مستطيع بدنياً ومالياً يجب شد الرحال إلى أماكنها المخصصة لأدائها.

٢- أن المقصد الأسمى من الطواف حول البيت الحرام هو تحقيق العبودية والتعظيم لله عز وجل "من ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الآية ٣٢ الحج.

٣- أن شد الرحال إلى الحرمين الشريفين، يمكن أن يطلق عليه مجازاً وصف السياحة الدينية من حيث ما يشمل عليه من حركة وانتقال للأفراد والأموال من كل فج عميق إلى رحاب الحرمين الشريفين، ومن حيث ما يعود على الحجاج والمعتمرين والزوار من منافع روحية ودنيوية.

٤- أن السياحة إلى الحرمين الشريفين سياحة منضبطة بالالتزام بما أوجبه الله من فرائض دينية واجتناب ما نهى الله عنه من الرفث والفسوق والجدال وتحاشي إيذاء الغير بالقول أو بالفعل وتجنب المحظورات التي حظرها الشارع على الحاج والمعتمر أثناء إحرامه أو في داخل الحرمين الشريفين والالتزام بأداء المناسك والشعائر مرتبة على النحو الذي رتبها عليه الشارع الحكيم.

٥- أن السياحة إلى الحرمين الشريفين لا تهدف فقط إلى مجرد الزيارة أو المكث في أماكن مقدسة لفترة زمنية محدودة، وإنما هي في ذاتها جهاد في

^(١) صحيح البخاري حديث رقم ١١٩٠، وصحيح مسلم حديث رقم ١٣٩٤.

سبيل الله لغير القادرين على الجهاد لما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله نري الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد، قال: لكن أفضل من الجهاد حج مبرور^(١)، كما أنها في ذاته سياحة فكرية تأملية اعتبارية هادفة إلى الوقوف على بعض أسرار الشارع الحكيم حول بيت الله الحرام ومقام إبراهيم وزمزم والصفاء والمروة وملابس الإحرام والمواقيت المكانية للإحرام ومحظورات الإحرام والوقوف بعرفة والدعاء عند المشعر الحرام ورجم الشيطان، وما تنطوي عليه مناسك الحج والعمرة من حكم وأسرار وما تضمنه البقاء المقدسة من آثار وشواهد تهفو إليها قلوب المؤمنين أينما وجدوا، استجابة لدعاء الخليل إبراهيم إذ قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

نعم إنها سياحة تأمل وتفكر واعتبار تستحث الحاج والمعتمر والزائر بعد أن تطهر من ذنوبه، ومحا أوزاره^(٢) أن يجعل من حجه أو من عمرته حائط صدّ يمنعه من ارتكاب المعاصي والأوزار.

إن النظر إلى الكعبة المشرفة والطواف حول البيت والشرب من ماء زمزم والصلاة خلف مقام إبراهيم والنظر والاعتبار في مناسك الحج وشعائره ينتقل بالمسلم من عالم الغيبات إلى عالم الأثر المحسوس ويحول بينه وبين ما يمكن أن يعتريه من

(١) المجموع شرح المذهب لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي - دار عالم الكتب بالرياض جـ ٧ ص ٥٥.

(٢) كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه" صحيح البخاري حديث رقم ١٥٢١، وصحيح مسلم حديث رقم ٣٢٩١.

النسيان أو من قلة الاكتراث عند قراءته أو سماعه لما جاء به الوحي من نصوص تشريعية للحج والعمرة.

ثانياً: دافع السياحة الترويحية أو الترفيهية:

تدل شواهد القرآن الكريم والسنة النبوية على إقرار الشارع الإسلامي الحليم لمبدأ الترويح عن النفس، وذلك حيث لم يرد عن الشارع نصاً واحداً يمنع من ذلك أو يقر مظهراً واحداً من مظاهر التكليف بما لا يطاق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية ٢٨٦ من سورة البقرة وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية ١٩٨ البقرة، وقال عز وجل: "يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" وآيات وأحاديث التخفيف والتيسير ورفع الحرج والرخص الشرعية كثيرة ومتعددة. وبناء عليه:

فإن الله سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الآية ١٥ من سورة الملك وحيث يقول: ﴿وَأَخْرَجُوا يَظْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية ٢٠ المزمل، وحيث يقول على لسان أخوة يوسف عليه السلام: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾ الآية ١٢ من سورة يوسف، وحيث يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ الآية ٣٧ الاسراء.

وإن رسول الله ﷺ حيث يقول: "روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ مَلَّتْ" وهو عليه الصلاة والسلام حيث يعترض على الثلاثة نفر الذين أتوا إلى أحد بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته، وكأنهم قد تقالّوها، وقول أحدهم أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقول الثاني وأما أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقول الثالث وأما أنا فلا أتزوج النساء، فلما علم ﷺ بمقولة هؤلاء قام في الناس خطيباً وقال: أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" فهذه الشواهد وغيرها تدل على ما يأتي:

- ١- أن السياحة المنضبطة بضوابط الشرع ابتغاء الترويح والترفيه غير ممنوعة شرعاً.
- ٢- أن طلب الترويح عن النفس أمر فطري في الإنسان يقره المشرع ولا يمنعه.
- ٣- أن تمكين القلوب من حقها في الترويح وترويح النفوس بالمباحات يجعلها أكثر استعداداً لفعل الطاعات والالتزام بالتكاليف.
- ٤- أن الاستجمام المشروع ورفع السّامة والكلل والملل عن النفس فطرة إنسانية في جميع الشرائع والأجناس، فإن مما ورد في الأثر أن رسول الله ﷺ سمح للحبشة بأن يتراقصوا ويلعبوا في مسجده ﷺ وسمح لأُم المؤمنين عائشة بأن تنظر إليهم وتشاهدتهم، ووقف يسترها بردائه.
- ٥- أن المسلم قد يؤجر على الترويح المباح إذا كان قصده منه زيادة نشاطه على العبادة، والتخفيف من مشقة التكاليف على قلبه، فإن القلب كما أخبر عنه رسول الله ﷺ مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله^(١)، وهذه طائفة من آراء الفقهاء في إباحة الترويح عن النفس عند خوف الملل.
- ١- ينقل القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن بعض الصحابة كانوا يشتون (أي يقضون فصل الشتاء) بمكة لدفتها، ويصيّفون (أي يقضون فصل الصيف) بالطائف لهوائها^(٢).
- ٢- أجاز ابن مفلح في الفروع الترويح المتمثل في النزهة، واعتبر السفر في طلب ذلك من أمثلة السفر المباح^(٣).

^(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - رقم الحديث ٥٢.

^(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٦١.

^(٣) الفروع لأبن مفلح - دار الكتب العلمية بيروت ج ٢ ص ٤٧.

٣- يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن من استعان بالمباح على تحصيل الحق والبر يعد عمله من الأعمال الصالحة^(١).

السياحة بين العلم والصناعة:

إن السياحة كعلم تعنى في مفهومها العام: السفر والإقامة المؤقتة خارج نطاق السكن الأصلي والإقامة المؤقتة للسائح لأغراض تحصيل الاستجمام وتغيير المحيط والبيئة الأصلية الدائمة وإشباع رغبته في الاستطلاع والتواصل والتغيير.

أما السياحة كصناعة فتعنى: مجموعة العلاقات والمنتجات والخدمات المرغوبة التي يتلقاها السياح في الأماكن والمنتجات السياحية مثل أماكن الإقامة والمطاعم والمتنزهات الطبيعية والصناعية والآثار والشواطئ وغيرها.

إن علم السياحة هو ذلك العلم الذي ينضوي تحت العلوم الاجتماعية ويُعنى بالبحث في الجوانب النظرية للنشاط السياحي والتي تشمل على:

- ١- مفهوم السياحة وعناصرها وأهميتها وأنواعها.
- ٢- عناصر الجذب السياحي (الأماكن الدينية والتاريخية والرياضية والترفيهية والتعليمية والمناظر الطبيعية الخلابة، والمناخ، والتضاريس والشواطئ والبحار والغابات والمحميات وأماكن التسوق).
- ٣- الآثار الاقتصادية والاجتماعية للسياحة من حيث دورها في توفير فرص العمل والحد من البطالة وفي زيادة موارد الدولة من النقد الأجنبي وزيادة معدلات الاستثمار في القطاع السياحي (مرافق المنتجعات السياحية مثل الفنادق والمواصلات).
- ٤- وسائل وآليات التنمية السياحية وعلى الأخص منها:

^(١) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ج١ ص ١١٧.

أ) رفع مستوى أخلاقيات العناصر البشرية التي تتعامل مع السائح (المرشدين السياحيين).

ب) رفع مستوى الوعي السياحي لدى المواطنين في تعاملهم مع السائح لمنع كافة أشكال الاستغلال أو الابتزاز للسائح.

ج) تحقيق أقصى قدر من الأمان للسائح وتجنبيه كافة أشكال العمليات الإرهابية.

د) تقديم كافة التسهيلات لترحيل جثامين موتى السائحين إلى بلادهم وتقديم كافة أوجه الرعاية الصحية للمصابين منهم.

هـ) تثبيت سعر صرف العملة الوطنية في مواجهة العملات الأجنبية وعدم فرض أية قيود على السائحين في الدخول والخروج بالقدر اللازم لأنفاقهم أثناء تواجدهم من عملاتهم الوطنية أو أية قيود على السائحين في الدخول والخروج بالقدر اللازم لإنفاقهم أثناء تواجدهم من عملاتهم الوطنية أو أية قيود على تعاملهم بها واستبدالهم لها.

٥- كما يبحث علم السياحة في دور السياحة في تعزيز التواصل السياسي والثقافي والإنساني والاجتماعي بين الشعوب والدول، وفي تطور النشاط السياحي عبر العصور التاريخية.

٦- ويبحث علم السياحة كذلك في مقومات السياحة العشر: السائح - المرافق السياحية - مقدمى الخدمات - شركات السياحة - المنتجات السياحية - التخطيط السياحي - التنظيم السياحي - التسهيلات

السياحية (مراكز الخدمات اللوجستية) مراكز الإرشاد السياحي -
المرشد السياحي - الأمن السياحي.^(١)

٧- وأخيراً فإن علم السياحة يعنى ببحث الإعلام السياحي المتخصص
وكيفية الاستفادة من التقنية والحرفية والخبرة الإعلامية في نشر الثقافة
السياحية داخلياً وفي الترويج للسياحة الى الدولة خارجياً وذلك عبر
وسائل الإعلام المختلفة وباستخدام مختلف فنون الإعلام من كلمات
وصور ورسوم وألوان ومؤثرات فنية واعتماداً على معلومات حقيقية
وأفكار متخصصة يتم عرضها بطريقة موضوعية.

صناعة السياحة:

لم تعد السياحة العالمية في الوقت الحاضر مجرد سفر وانتقال من مكان إلى آخر
للراحة والاستجمام والترفيه، لا تحظى إلا بالقدر الضئيل من اهتمام الدولة صاحبة
المقاصد السياحية التاريخية أو الطبيعية الخلابة، كسابق عهدها في عصورها الفاتنة.
وإنما أصبحت صناعة من أكبر الصناعات في العالم^(٢) متأثرة في ذلك بالكثير من
المتغيرات العالمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية والبيئية
والتكنولوجية وثورة المواصلات وتغيرات الطلب والعرض العالميين عليها، وسيطرة
مفاهيم حسن استغلال الميزات التنافسية بين الدول، بخاصة جودة الخدمات السياحية
ومدي جاهزية المقاصد السياحية لاستقبال المزيد من السياح واعتدال أسعار -
خدمات السفر والإقامة والإعاشة.

^(١) لواء دكتور مساعدين اللحاني - الأمن والسرية السياحية - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
بالرياض ٢٠١٢م ص ٢٥ وما بعدها.

^(٢) د/ سامح أحمد رفعت - إدارة الموارد البشرية في المجال السياحي - دار الكتب القانونية مصر -
ص ٣٠٣ وما بعدها.

ونتيجة لذلك فقد أصبحت السياحة مهنة لها قواعدها وأصولها وأسسها العلمية كما أصبحت صناعة لإنتاج الخدمات السياحية بأعلى جودة وأقل الأسعار، صناعة للتسويق السياحي واجتذاب الملايين من السياح، صناعة لتسهيل إجراءات دخول وخروج السائح إلى الدولة ومنها، صناعة لتدريب العناصر البشرية - المتعاملة مع السائح على حسن ضيافته، صناعة لتوليد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة والحد من البطالة، صناعة لزيادة موارد الدولة من النقد الأجنبي، صناعة لتحقيق التكامل بين قطاعات النشاط الاقتصادي الوطني، صناعة تمتد إلى كافة مجالات العمل السياحي مثل تجهيز ورفع كفاءة المزارات السياحية والمتنزهات الترفيهية، وخدمات النقل والإعاشة، ومكاتب الاستعلام ووكالات السفر والسياحة، والخدمات الأمنية والطبية، وخدمات الفنادق والطيران.

العناصر الأساسية لصناعة السياحة:

إن صناعة السياحة صناعة مركبة من عدد كبير من الصناعات المتكاملة والمتداخلة المباشرة وغير المباشرة المادية وغير المادية. وذلك حيث تُعنى هذه الصناعة بنقل المعارف والمعلومات السياحية من جانبها النظري إلى جانبها التطبيقي، أي ترجمة المعارف النظرية إلى خطط وبرامج ومنتجات سياحية متطورة تستشعر رغبات السياح وتستجيب لها وتسعي جاهدة إلى إشباعها لهم، ومن أهم هذه العناصر:

(١) خطط المحافظة على المعالم والآثار والمقاصد السياحية: التي تمنح

الدولة الميزة التنافسية على غيرها في جذب السياح، المحافظة عليها من الهدم والإتلاف والتخريب وتغيير المعالم والنقل والإخفاء والتشويه والطمس والتهريب والسرقه والتقليد والتزوير والتزييف، المحافظة عليها بالترميم والصيانة ومنع تلوث البيئة من حولها والإبقاء على جاهزيتها مزاراً ومقصداً دائماً دائماً للسياح على مدار أيام العام، وما أكثر هذه المعالم والآثار والمقاصد السياحية في المملكة العربية السعودية ومن أشهرها:

المسجد الحرام - الكعبة المشرفة - الحجر الأسود - مقام إبراهيم -
حجر إسماعيل - بئر زمزم - جبل الصفا (أبى قبيس) جبل المروة -
جبل خندمة - جبل عمر - جبل الكعبة - جبل النور - جبل ثور - جبل
قعيقان - غار حراء - غار ثور - جبل الرحمة - مشعر عرفه - مشعر
مزدلفة - مواقع رجم الشيطان - مسجد نمرة - مسجد البيعة - مجرّ
الكبش - مسجد عائشة - مسجد ذي الحليفة - مسجد الجعرانة -
مسجد الحديبية - مسجد نمرة - مسجد الخيف - مسجد الجنّ -
موضع مولد النبي ﷺ (مكتبة مكة المكرمة) - مقبرة المعلاة - مسجد
قباء - المسجد النبوي الشريف - مسجد الجمعة - مسجد الفضيف
(الشمس) - مسجد بنى قريظه - مسجد الإجابة - مسجد القبلتين -
شهداء أحد ، مقبرة البقيع .

(٢) ومن العناصر الأساسية لصناعة السياحة: برامج الترويج السياحي
وذلك من خلال المشاركة في معارض السياحة الدولية التي تقام في لندن
وباريس ونيويورك وغيرها والتي تتم عبر الشركات والمكاتب السياحية
الوسيطّة وتهدف إلى الوصول إلى سياحة الأفواج أو المجموعات التي
تتولى شركات السياحة العالمية تنظيمها وترتيبها وفق برنامج خاص
ومحدد الزمان والمكان والأسعار ومدد الزيارة والمقاصد السياحية
ونوعية الخدمات التي تقدم للسياح .

والشرط الأساسي لنجاح أي برنامج سياحي هو توافقه مع رغبات
وسلوكيات جنسية سياح الفوج ومستويات دخولهم وقدراتهم المالية
وتناسبه مع فترات وأماكن الإقامة ونوعية الخدمات المقدمة .

وجدير بالذكر أن الترويج أو التسويق السياحي الذي يري إلى تزويد
السائحين بالمعلومات الكافية عن المقاصد والمناطق السياحية يساعد
بصورة كبيرة على تدفق السياح إلى هذه المناطق .

ولا تتوقف برامج الترويج السياحي عند حدود الإعلان والدعاية وإقامة المعارض السياحية، وإنما تمتد لتشمل توفير وتقديم الإمكانيات المادية التي تحقق للسائح رغباته وتشبع حاجاته من زيارة المقصد السياحي مثل أدوات الصيد في رحلات الصيد البرية والبحرية، وأجهزة التنفس والتصوير في سياحة الغطس في أعماق البحار وكذا مرافق وخدمات النقل والإيواء والضيافة والمياه والطاقة.

(٣) ومن أهم عناصر صناعة السياحة: تقديم التسهيلات السياحية الممكنة للسائح من تحقيق أقصى استفادة من رحلته السياحية في سهولة ويسر وعلى وجه الخصوص التسهيلات التالية:

(أ) تسهيل حصوله على تأشيرة دخول الدولة ومغادرته إياها بأقل رسوم ممكنة.

(ب) توفير الحماية الأمنية له بدنياً ومالياً في كافة المقاصد السياحية التي يرتادها.

(ت) توفير وسائل النقل المناسبة والسكن اللائق والرعاية الصحية بأعلى جودة وأقل الأسعار الممكنة.

(ث) توفير متطلبات معيشته من مأكّل ومشرب واتصالات وخدمات لوجستية.

(ج) احترام كرامته الإنسانية وحياته الشخصية.

السياحة الإبداعية علم وفن:

ينظر خبراء الاقتصاد في الوقت الحاضر إلى السياحة باعتبارها من أكبر أدوات تحقيق التنمية المستدامة لدورها الفاعل في خلق الوظائف وتنشيط الطلب على المنتجات المحلية، وأنه يجب العمل على تنشيطها.

الفصل الثاني

أهمية السياحة وعناصر أسواقها وأنواعها

لقد أصبحت السياحة في الوقت الحاضر أحد الأنشطة الاقتصادية الرئيسية في جميع دول العالم المتقدمة والنامية على حد سواء، وأصبحت قاطرة النمو الاقتصادي والاجتماعي والتجاري والثقافي والعلمي والتقني في كافة المجتمعات، وذلك لما بينها وبين مختلف مجالات النشاط الإنساني من تأثير متبادل، وعلى سبيل المثال فإنها وبما تؤدي إليه من زيادة الطلب الكلي على السلع والمنتجات الصناعية والزراعية تؤدي إلى زيادة إنتاج هذه السلع، كما تؤدي زيادة إنتاج هذه السلع وتوفرها في السوق المحلي واعتدال أسعارها إلى جذب المزيد من السياح للإفادة من الميزة النسبية المتمثلة في رخص الأسعار وارتفاع القوة الشرائية لما بحوزتهم ممن النقود.

وبالمثل فإنها تؤثر وتتأثر بمستويات النشاط العلمي والثقافي المتوفرة لدى الدولة، فإن ارتفاع مستويات هذا النشاط في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً عامل جذب كبير للطلاب والدارسين من مختلف دول العالم، وانخفاض هذه المستويات في بعض الدول الأفريقية مثلاً عامل طرد لدارسيها وطلابها ولغيرهم من طلب العلم في دولهم والهجرة إلى البلدان التي تتوفر فيها الجامعات ومراكز الأبحاث والمراكز الثقافية.

وبالمثل فإن المدن التي تتوفر فيها المولات والمراكز التجارية ومراكز التسوق العالمية مثل تايوان وهونج كونج وشنغهاي ودبي وغيرها تجذب إليها السياح من داخل الدولة ومن خارجها حيث وفرة السلع والسوق التنافسية الحرة، والعكس في ذلك صحيح.

السياحة إذن فضلاً عن كونها نشاط اقتصادي اجتماعي تجاري، تعتبر قاطرة للتنمية الدائمة والشاملة والمستدامة في كافة الدول، ولأغراض الدراسة والبحث

العلمى فإننا سوف نتناول أهمية السياحة من ثلاثة جوانب رئيسية هي: الجانب الاقتصادي - الجانب الاجتماعي - الجانب الثقافي والعلمي.

أولاً: الأهمية الاقتصادية للسياحة:

إن السياحة في مضمونها الاقتصادي البسيط والمباشر تعنى: تنقل مئات الملايين من الأغنياء وأصحاب الفوائض النقدية من أماكن إقامتهم الدائمة، للإقامة المؤقتة في أماكن أخرى إما مدفوعين بمشاعر دينية جامحة لا يستطيعون دفعها عنهم، وإما طلباً للتمتع بما لا يجدونه في أوطانهم من شمس دافئة أو هواء عليل أو بحار صافية أو آثار حضارات عريقة أو مراكز علمية وبحثية متقدمة أو مراكز علاجية نادرة، ويحمل كل سائح منهم بضع آلاف من العملات الدولية على استعداد للتضحية بها ثمناً لإشباع حاجاته الاستهلاكية ورغباته السياحية.

وإذا كان هذا هو المضمون الاقتصادي الكلي للسياحة فإن هذا المضمون يتفرع عنه عدة مضامين جزئية من أهمها:

- ١ - زيادة الطلب الكلى الفعال على سلع وخدمات الاستهلاك في المقاصد والمناطق السياحية من الطعام والشراب والمسكن ووسائل التنقل والاتصالات.
- ٢ - تحفيز الاستثمار في مجالات إنتاج سلع وخدمات الاستهلاك وفي إقامة مشاريع البنية التحتية لإنتاجها واستيرادها وتسويقها وتبادلها في الأسواق.
- ٣ - تخفيض معدلات البطالة بخلق ملايين فرص العمل الدائم والموسمي المباشر وغير المباشر في كافة ميادين العمل وقطاعاته.
- ٤ - تحفيز إنشاء الشركات والمكاتب السياحية والمشروعات والمنشآت الإنتاجية والخدمية والمهنية والحرفية والترفيهية في قطاع السياحة والقطاعات الأخرى المرتبطة به.

- ٥- تنمية المناطق السياحية الأكثر جذباً لتدفق السكان وهجرتهم إليها وإقامتهم فيها لوفرة فرص العمل وسبل العيش فيها.
- ٦- تحويل المعالم الأثرية الحضارية والتاريخية والدينية والمناخ المعتدل وجمال وسحر الطبيعة من ثروات خاملة لا تحقق أي عائد اقتصادي، إلى منتجات وثروات غير مادية ومنتجات تصديرية ومصادر دخول متجددة ومستدامة.
- ٧- تحويل القطاع السياحي إلى مصدر هام من مصادر الدخل القومي من العملات الحرة بصفته أحد البنود الأساسية للصادرات غير المنظورة وأحد الأنشطة الرئيسية للتنمية الشاملة (الاقتصادية والاجتماعية) في الدولة، وأحد العوامل الفاعلة في توازن ميزان المدفوعات وتغطية العجز في الميزان التجاري للدولة.
- ٨- زيادة إيرادات الخزينة العامة للدولة من رسوم التأشيرات والضرائب على الأرباح التجارية والصناعية^(١) وضريبة القيمة المضافة، ومن دورة دخول الأفراد والشركات والمشروعات العاملين في النشاط السياحي وإنفاقهم لهذه الدخول ونتيجة لزيادة الإنفاق على السلع والخدمات في الأنشطة المرتبطة بالنشاط السياحي ممن تتصل مهنتهم أو حرفتهم بهذا النشاط.
- ٩- خلق صناعات وأنشطة اقتصادية مكملية ومرتبطة بالنشاط السياحي مثل الصناعات الغذائية وقطاع البناء والتشييد والصيانة والتجهيز - وقطاع الأثاث والمفروشات وقطاع الصناعات الهندسية والمنزلية وقطاع النقل وقطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ولا يخفي ما لهذه

(١) أ.د/ على لطفي - التنمية السياحية في مصر - مؤتمر أكاديمية شرطة دبي الدولي الثالث حول الجوانب القانونية والأمنية لصناعة السياحة - إبريل ٢٠٠٦ ص ١٣ - ص ٢١.

الصناعات والأنشطة الاقتصادية المكملة والمرتبطة بالنشاط السياحي من دور مهم في زيادة الناتج القومي الإجمالي وفي زيادة صادرات الدولة وتقليل وارداتها وزيادة النقد الأجنبي لديها فضلاً عن تشغيل العمالة والقضاء على البطالة، وذلك كله نتيجة مباشرة لدور قطاع ونشاط السياحة في خلق الطلب على منتجات الصناعات والأنشطة المرتبطة به^(١).

١٠ - إحداث نهضة عمرانية وتنمية اجتماعية واقتصادية ورفع مستوى معيشة المواطنين المقيمين في المناطق التي تتواجد فيها عوامل الجذب السياحي، والمثال الواضح على ذلك يظهر بوضوح عند المقارنة بين المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وبين غيرهما من مدن وقرى المملكة الأخرى التي لا تتواجد فيها عوامل الجذب السياحي فإن قلة الإنفاق السياحي فيها وانعدام الطلب على سلع وخدمات السياح، لا شك له تأثير كبير على النهضة العمرانية وعلى تدني مستوى معيشة الأفراد فيها، وعلى فرص توظيف وتشغيل العمالة المتوافرة لديها^(٢).

^(١) د/ سحر تهامي - الأثر الحقيقي لقطاع السياحة - ورقة عمل مقدمة الى المركز المصري للدراسات الاقتصادية مايو ٢٠٠٠ ص ١٤ - ص ١٨.

^(٢) راجع فيما تقدم: سلوي محمد مرسى - الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للتنمية السياحية - رسالة دكتوراه - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٨٧ ص ٢١ وما بعدها.

المبحث الثاني

أسواق السياحة الدولية

يتكون السوق السياحي الدولي من مكونين أو عنصرين أساسيين هما:

(١) عنصر عرض المنتجات والخدمات وعوامل الجذب السياحي من جانب الدول التي حباها الله عز وجل بالعوامل الطبيعية الساحرة (البحار والشواطئ والجبال والشمس والهواء والمناخ المعتدل والغابات وغيرها) أو التي أقام لها أسلافها حضارات عريقة ذات آثار عجيبة تتحدى الزمن (معابد - أهرامات - مسلات - متاحف - قصور - مدائن صالح ورم ذات العماد وغيرها) أو التي شيد لها أبنائها صروحاً علمية وثقافية ومتاحف جاذبة لفئات مخصوصة من السياح، أو التي منّ الله عليها بعيون مياه معدنية وكبريتية ونوعيات خاصة من الرمال ذات الخواص الطبية التي يمكن اتخاذها أسباباً للشفاء من بعض الأمراض.

خصائص عنصر العرض:

تتميز عوامل الجذب السياحي بالخصائص التالية:

(١) الندرة المطلقة، أو الندرة النسبية، فإن الحرم المكي الشريف... بجميع مكوناته (الكعبة ومقام إبراهيم وزمزم والصفاء والمروة والمشاعر المقدسة) حرم واحد ليس له بديل ولا نظير على مستوى العالم، وإن قبر النبي محمد ﷺ وصاحبيه قبر واحد، وأن المسجد الأقصى في القدس والعتبات المقدسة عند الشيعة في العراق، ومدائن صالح، ورم ذات العماد بين اليمن وسلطنة عمان، ومعابد فيلة في الأقصر وأهرامات الجيزة وغير ذلك من المعالم السياحية ليس لها نظائر ولا بدائل على مستوى العالم. ومسار العائلة المقدسة في مصر لا بديل له ولا نظير في أي مكان آخر.

(٢) القدرة على إشباع حاجات ورغبات السياح القاصدين لزيارتها، فإنها لو لم تكن قادرة على ذلك لما أُنصف الطلب السياحي على زيارتها بصفة التكرار والاستمرار على مدار تاريخها، حيث تستمد جاذبيتها وتأثيرها من ذاتها ومن كونها من عجائب الدنيا، وحيث لا يتوقف تأثيرها عند فئة مخصوصة من السياح وإنما يمتد تأثيرها إلى كل من يشاهدها أو يسمع بها.

(٣) تعدد وتباين أنواع السياحة وأغراضها تبعاً لتعدد المعالم والمقاصد السياحية وتبعاً لتعدد رغبات وبواعث ودوافع السائحين، فمن سياحة دينية هادفة إلى أداء فريضة دينية واجبة أو إلى التقرب إلى الله عز وجل بزيارته في بيته الحرام أو بزيارة مسجد نبيه ﷺ. إلى سياحة علمية ودراسية طلباً للعلم والمعرفة، إلى سياحة علاجية طلباً للشفاء من الأمراض، إلى سياحة ثقافية طلباً لمشاهدة الطبيعة والوقوف على معالم الحضارات السابقة، إلى سياحة ترويحية طلباً لإعادة بناء السائح نفسياً وذهنياً واستعادته لحيويته ونشاطه وتوازنه وعلاجه من مسببات القلق والتوتر وأبعاده عن ضغوط الحياة السلبية وعصبيتها، واستعادة لصفاء نفسه وسلامة وجدانه إلى سياحة تسويقية شرائية طلباً لحصوله على مستلزمات حياته من المنتجات الحديثة التي لا تتوفر في مكان إقامته الدائم إلى سياحة رياضية لمشاهدة مباريات كؤوس العالم والأولمبيادات الرياضية بين الكبار.

(٤) ارتباط العرض بمرونة عوامل الجذب، وبصفة خاصة بالعوامل التالية:

- أ. تسهيلات قدوم السائحين ومغادرتهم.
- ب. حسن ضيافتهم ومعاملتهم.
- ج. توفير الحماية الأمنية لهم.

د. توفير البنية التحتية لإقامتهم وتنقلاتهم وإعاشتهم وتسويقهم وإرشادهم.

هـ. توفير مقومات الصحة والسلامة البيئية للمعالم السياحية والسائحين معاً.

(٥) خضوع عرض مناطق الجذب السياحي التي تتمتع بالندرة النسبية مثل الشواطئ والأماكن ذات المناخ الصيفي والشتوي المعتدل للمنافسة الاحتكارية من جانب الدول التي تمتلك البنية التحتية المحققة لأقصى رغبات للسائحين، والتي تمتلك الوسائل والأدوات الفاعلة للترويج السياحي، والعناصر البشرية المدربة على تقديم أرقى مستوى الخدمات للسائحين، والأسواق التي تتمتع برخص الأسعار ورخص تكاليف المعيشة للسياح والتي تقدم التسهيلات الإدارية الكافية لجذب السياح واستقبالهم ومغادرتهم والتي تتمتع بالأمن والأمان والاستقرار السياسي والاجتماعي، وتكشف المقارنة بين السوق السياحي في أسبانيا أو تركيا وبين السوق السياحي في الصومال وليبيا عن طبيعة وأثر هذه المنافسة.

عنصر الطلب على المنتجات والخدمات السياحية:

وهو المكوّن الثاني من مكونات سوق السياحة العالمي، والذي يشكّل في حقيقته وظيفة الاستهلاك للمنتجات والخدمات السياحية المعروضة في السوق من جانب أصحاب الفوائض النقدية من أغنياء العالم الراغبين في الانتفاع الشخصي بجزء من ثروتهم ومدخراتهم والساعين إلى الاستمتاع بأموالهم وأوقاتهم.

خصائص عنصر الطلب على المنتجات والخدمات السياحية:

١ - شموله لجميع جنسيات دول العالم، بما فيها الدول التي تمتلك مقاصد سياحية داخلية، وعلى سبيل المثال فإن وجود منطقة الطائف ذات الهواء اللطيف في فصل الصيف لا يستقطب جميع السياح السعوديين أو

يحد من رغبتهم في السياحة إلى شرم الشيخ أو إلى تركيا، والقياس في ذلك صحيح.

٢- توقفه على رغبات السائح ومقدرته المالية على الإنفاق أثناء وجوده في المقصد السياحي من حيث مكانه ومدته.

٣- توقفه على قوانين النقد في الدولة التي يخرج منها السائح وما إذا كانت هذه القوانين تمكنه من حيازة واستبدال العملات الأجنبية أو تضع قيوداً على ذلك.

٤- توقفه على المحفزات السياحية التي تقدمها البلد الذي يؤمها السائح ومدى رخص تكاليف المعيشة فيها وسعر عملتها الوطنية في مقابل العملة التي معه.

٥- توقفه وبدرجة كبيرة على ما تتمتع به الدولة التي يزورها السائح من أمن وأمان واستقرار سياسى وإجتماعى.

٦- توقفه على مدى جاهزية المقاصد السياحية وقدرتها على استيعاب السائحين الراغبين في زيارتها، ومدى قدرتها وكفاءتها على ترك انطباعات طيبة لديهم تحفزهم على العودة لزيارتها مستقبلاً.

٧- توقفه على تنوع المواقع الأثرية والحضارية والمتاحف والمعارض والمهرجانات والأبراج ومواقع الأحداث المهمة التي يتم من خلالها التعرف على أنماط الحياة الاجتماعية والحضارية والثقافية في الدولة صاحبة الموقع واكتشاف مظاهر الحياة فيها قديماً وحديثاً لفرص العلم والمعرفة بها.

المبحث الثالث

أنواع/ أشكال السياحة

يمكن تصنيف السياحة وفقاً لثلاثة معايير علمية إلى:

- ١ - التصنيف وفقاً لمعيار العدد (سياحة فردية وسياحة الأفواج).
- ٢ - التصنيف وفقاً لمعيار جنسية السائح (سياحة داخلية وسياحة دولية).
- ٣ - التصنيف وفقاً لمعيار الغرض (دينية - علمية - ثقافية - علاجية - ترويحية - رياضية - سياحة المؤتمرات - سياحة التسوق والمشتريات - أنواع أخرى).

وفيما يلي وصفاً موجزاً لثمانية من أهم هذه التصنيفات:

أولاً: السياحة الفردية^(١):

وهي عبارة عن قيام فرد أو مجموعة أفراد لا تزيد عن سبعة أفراد من الأصدقاء أو من أسرة واحدة بالأعداد بأنفسهم دون وساطة شركة أو مكتب سياحي، لزيارة بلد أو مقصد سياحي ما، لمدة يقدرون زمانها بعد وصولهم بحسب تمتعهم بالمكان أو بحسب وقت الفراغ المتاح لديهم أو بحسب قدراتهم المالية أو بناء على أي اعتبار آخر خاص بهم أو ببعضهم.

ولا يعتمد هذا النوع من السياحة على برنامج زيارات منظم أو محدد سلفاً، وإنما يتحدد البرنامج يومياً أو لحظياً بحسب الدوافع والرغبات الخاصة للفرد أو لأغلبية المجموعة ومدي تمتعهم ورضائهم عن الخدمات السياحية المقدمة لهم.

^(١) د/ ماجد عيسى القرنة - الاتجاهات الحديثة في الإدارة السياحية - دار الرنيم للنشر عمان/ الأردن

ثانياً: سياحة الأفواج (السياحة المنظمة):

وهي التي تتم عبر الوسيط السياحي (شركات السياحة والسفر) التي تتولى تنظيم وترتيب سفر كل فوج وفقاً لبرنامج خاص وسعر محدد يعتمد على إشباع رغبات غالبية الفوج، ويتم من خلال هذا البرنامج تحديد وجهة السفر ومدة الإقامة والمقاصد السياحية التي ستم زيارتها - ومستوي الخدمات المقدمة في السكن والإعاشة والتنقل ووسيلة السفر ذهاباً وعودة^(١).

ثالثاً: السياحة الداخلية:

وهي السياحة التي يتولى أمر تنظيمها والقيام بها مواطنوا الدولة إما بأنفسهم أو من خلال وسيط سياحي محلي، لغرض زيارة مكان ديني أو أثري أو حضاري أو تاريخي أو علاجي أو ترفيهي أو للإقامة المؤقتة في أجواء أكثر دفئاً أو أكثر اعتدالاً عند شدة البرودة أو الحرارة في أماكن إقامتهم الدائمة، وهي لا تختلف كثيراً في مضمونها وإجراءات القيام بها عن السياحة الفردية.

رابعاً: السياحة الدولية:

وهي المعنى المراد عند إطلاق مصطلح السياحة دون تقييد أو تخصيص له بأي نوع آخر وتتميز بالخصائص التالية:

- ١ - أنها سياحة الأجانب من غير المواطنين أو المقيمين في الدولة المضيفة.
- ٢ - يتم تنظيمها بواسطة الشركات والمكاتب السياحية المتخصصة.
- ٣ - يتم تنظيمها من خلال برامج خاصة لجذب السياح توضع إما بمعرفة الجهات المختصة في الدولة المضيفة أو بمعرفة شركات ومكاتب السياحة والسفر العالمية.

^(١) راجع في نفس المعنى: نهاد نجيب محمود - اقتصاديات صناعة السياحة دراسة مقارنة - رسالة

ماجستير - كلية التجارة جامعة عين شمس مصر ١٩٩٦ ص ٨٠ وما بعدها.

- ٤- أنها ذات آثار اقتصادية مباشرة على اقتصاد الدولة المصدرة للخدمة، عبر ما تخلقه من فرص العمل ومن الطلب على السلع والخدمات الاستهلاكية ومن حفز الجهاز الإنتاجي في الدولة المضيفة على المزيد من التشغيل الكامل لعناصر الإنتاج المتاحة ومن الحصول على الدخل.
- ٥- أنها ذات آثار مباشرة على الاستثمار في إقامة البنية التحتية اللازمة لأداء الخدمات الأساسية للنشاط السياحي من طرق وشبكات مياه وكهرباء وصرف صحي ونقل واتصالات وفنادق ومطاعم ومراكز تسوق وترفيه وقرى سياحية ونقل نهري وأدوات غوص في أعماق البحار وغيرها.
- ٦- أنها تتطلب برامج ترويجية وإعلانية ضخمة وخبرة وقدرة على التعامل الحضاري مع السائحين من جانب القوي العاملة في خدماتها.
- ٧- أنها كثيرة التأثير بالمتغيرات والتقلبات الاقتصادية والسياسية والأمنية العالمية بالنظر إلى ارتباطها بعاملين رئيسيين هما:
- (أ) ضعف قدرة الدولة العارضة لخدماتها على السيطرة بمفردها على حجم الطلب العالمي عليها.
- (ب) وجود شركات سياحية دولية النشاط تتمتع بوضع احتكاري في توجيه الطلب العالمي عليها لصالح الدول الأكثر ربحية بالنسبة لها.
- ٨- أنها ليست فقط كثيفة الاستخدام للقوى العاملة وإنما تتطلب أنواعاً خاصة من العمل وفئات خاصة من العاملين من ذوي الخبرة الفائقة في التعامل مع السائحين وفي تقديم الخدمات السياحية لهم.
- ٩- أنها تتطلب محلات تجارية متخصصة تستشعر رغبات كل سائح وتجيد التعامل معه وتوفر له من السلع والهدايا النادرة ما يحفزّه على الشراء، كما تتطلب عناصر بشرية ذات كفاءة عالية في الجهاز الإداري للدولة العارضة.

١٠ - أنها تتمتع بخلق ناتج إجتماعى كبير يتمثل في حصول عدة قطاعات من المواطنين المنتجين والعارضين للخدمات اللوجستية المكملّة على مقادير غير قليلة من الانفاق الاستهلاكي للسائحين ومن بين هذه القطاعات: موردي المواد الغذائية للفنادق والمطاعم وعمال صيانة ونظافة الفنادق، وأفراد الأسر المنتجة للهدايا التراثية والمشغولات اليدوية وقطاعات عريضة من الحرفيين والمهنيين وغيرهم.

١١ - أنها ذات تأثير بالغ على توازن ميزان المدفوعات في الدولة المضيفة من حيث كونها صادرات لخدمات غير منظورة تضاف إلى صادرات الدولة من السلع والمنتجات المنظورة في مواجهة واردات الدولة، وتعمل على توازن الميزان التجاري للدولة وذلك حيث تعتبر السياحة بالنسبة للدولة المضيفة منتجاً صافياً للعمولات الأجنبية وداعماً للاقتصاد الوطنى من هذه العملات في مواجهة حاجته إليها لأغراض استيراد السلع والخدمات الضرورية والحيوية للمجتمع.

١٢ - إلا أن السياحة الدولية وعلى الرغم من الخصائص الإيجابية المتقدمة قد تخلق تضخماً من نوع ما في الاقتصاد المصدّر للخدمة السياحية^(١) يتمثل في تذبذب أسعار صرف العملة الوطنية، وتغيّر مستويات الأثمان في داخل اقتصاد الدولة المصدّرة وذلك من حيث أن الطلب على السياحة الدولية في الدولة المصدّرة لخدماتها غالباً ما يكون موسميّاً يتركز في أوقات محددة وفي أماكن محددة، وعلى سبيل المثال فإن طلب السعوديين على السياحة الاصطيافية في مصر يتركز في شهور فصل الصيف وفي المدن الساحلية (الشاطئية) وهذا التركيز الزماني والمكاني

(١) أ.د/ محمد دويدار - مبادئ الاقتصاد السياسي - الجزء الثالث - الاقتصاد الدولي منشورات

الحلبي الحقوقية بيروت ٢٠٠١ ص ٢٣٠ وما بعدها.

يؤدي إلى ضغوط تضخمية تنعكس في ارتفاع عام في الأثمان في السوق المصري ناتج عن الاستهلاك المتزايد للسائحين، ويزيد هذا الأثر التضخمي حالة جمود الجهاز الإنتاجي في الدولة المصدرة وعجزه عن زيادة انتاجه من سلع وخدمات السياحة لمواجهة زيادة الطلب عليها.

١٣- وقد يؤدي اعتماد الدولة المصدرة للخدمات السياحية الدولية على السياحة كمصدر رئيسي للدخل القومي، إلى تركيز استثماراتها في مشروعات القطاع السياحي وإهمال مجالات الاستثمار الأخرى، بما يترتب عليه حصر مصادر حصولها على النقد الأجنبي في مصدر واحد، فإذا ما تم ضرب هذا المصدر أو تأثره بأحد المتغيرات أو الأحداث العالمية عجزت الدولة عن تدبير احتياجاتها من النقد الأجنبي نظراً لانعدام مصادره بالنسبة لها.

١٤- كما أن السياحة الدولية قد يكون لها أثر سلبي آخر على اقتصاد الدولة المصدرة لخدماتها ويتمثل في إعادة توزيع دخلها القومي لصالح السائحين الأجانب، وعلى سبيل المثال فإن الدولة المصرية تخصص ثلث ميزانيتها تقريباً لدعم السلع الغذائية والوقود والطاقة ومياه الشرب والكثير من السلع الإنتاجية والوسيلة اللازمة لإنتاج هذه السلع الاستهلاكية، وهذه السلع في مجموعها تباع في الأسواق للسائحين الأجانب بنفس أسعار بيعها للمواطنين دون تمييز وهذا يعني أن السائح الأجنبي يحصل على جزء من الدعم الذي تتحمله الميزانية المصرية باعتبار هذا الدعم أداة من أدوات إعادة توزيع الدخل القومي لصالح الطبقات الفقيرة^(١). وبعد:

(١) أ.د/ عطيه عبدالحليم صقر - المالية العامة - توزيع دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٩٢ ص ٣٢ وما

بعدها.

فإن ما تقدم وبإيجاز غير مخل أهم وأبرز آثار السياحة الدولية من وجهة نظر الاقتصاد المصدّر لخدماتها، وليس من وجهة نظر اقتصاديات الدول التي ينتمى إليها السائحون بجنسياتهم أو بإقامتهم الدائمة، حيث يترتب عليها آثار عكسية في اقتصاديات الدول المصدّرة للسياح أو المستوردة للخدمات السياحية أقلّها زيادة الضغوط الاستيرادية والآثار غير المواتية على ميزان مدفوعاتها والذي نود التنبيه عليه هنا أمران هما:

١ - أن على الدولة المصدّرة لخدمات السياحة الدولية عدم المغالاة في فرض الضرائب والرسوم على نشاطات السياحة الدولية، حتى لا يؤدي ذلك إلى زيادة تكلفة السياحة الوافدة إليها وإلى الحد من قدرتها التنافسية في جذب المزيد من السائحين.

٢ - أن على الدولة المصدّرة لخدمات السياحة الدولية تبسيط إجراءات دخول السائحين إليها وخروجهم منها وتجويد صناعة الضيافة.

خامساً: السياحة الدينية:

ينظر بعض الباحثين إلى توصيف زيارة الأماكن المقدسة لدى الديانات السماوية أو لدى أصحاب المذاهب والمعتقدات الأرضية بأنه سياحة دينية بقدر من الحساسية، تحت دعاوى أن زيارة الأماكن المقدسة لأداء المناسك والشعائر الدينية يخرج عن مفهوم السياحة التقليدية الترفيهية ومع احترامنا الشديد وتقديرنا لهذه الاعتبارات إلا أننا نرى:

أنه لا يوجد ما يمنع من إطلاق مصطلح السياحة الدينية من حيث المدلول اللغوي للمصطلح على قصد البيت الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة، أو على قصد المسجد الأقصى للصلاة فيه، وذلك باعتبار أن هذا القصد يمثل في حقيقته انتقال من مكان إلى مكان وسيراً في الأرض لتحقيق غرض ديني، وأن الفرق بين السياحة الدينية والسياحة الترفيهية أو العلاجية أو الثقافية أو غيرها، يكمن في الباعث أو الغرض، ومن المعلوم أن الباعث أو الغرض لا دخل له في تحديد المعنى الحقيقي للمصطلح، وإنما

تنحصر وظيفته في تحديد نوع أو شكل السياحة فالسفر في حد ذاته سياحة أما الباعث على السفر فهو عبادة.

والقرآن الكريم قد أطلق على الرحلة المباركة التي نُقِلَ فيها سيدنا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أطلق عليها مصطلح الإسراء والإسراء لغة هو السير ليلاً، وقد كان الغرض من هذه النقلة المباركة هو: "لثريه من آياتنا" قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بُرُكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية ١ من سورة الإسراء، وتكشف لغويات هذه الآية عن:

- ١- أن الله عز وجل هو الفاعل الحقيقي لهذه النقلة المباركة.
- ٢- أن الرسول ﷺ قد أُسْرِيَ به أي أنه حُمِلَ على بساط قدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.
- ٣- أن زمان النقلة المباركة كان ليلاً.
- ٤- أنها بدأت من المسجد الحرام وانتهت داخل المسجد الأقصى.
- ٥- أن الغرض منها كان إراءة الرسول ﷺ بعض آيات الله البينات على الأرض وفي ملكوت السماوات العلا والصلاة في المسجد الأقصى.
- ٦- أن مصدر الفعل (نُرى) هو الإراءة وليس الرؤية، والإراءة هي جعل من لا يري، يري أما بتعديل في وسائط الرؤية لديه، وإما بتعديل في خصائص الأشياء المرئية.

ومن الآيات القرآنية الكريمة الشاهدة على أن قصد المسجد الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة إنما هو انتقال وسفر من كل فج عميق إلى مكان البيت قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآية ٢٧ الحج فإن قوله تعالى (يأتوك، ويأتين، ومن كل فج عميق) يدل على ما في الحج من سفر وانتقال، وأن السفر والتنقل من موطن الحاج أو المَعْتَمِر يعتبر سياحة في الأرض أما

الباعث والغرض من السفر فهو العبادة، ومن ثم فإنه تلزم التفرقة بين السفر في ذاته وبين الباعث عليه والغرض منه، وبناء عليه:

فإننا لا نقول بأن الحج والعمرة في ذاته وحقيقته سياحة دينية لأنه عبادة ذات أركان وواجبات وسنن ومحظورات محددة من لدن الشارع الإسلامي الحكيم وهي كما تحتمل امتثال المكلف بأوامر الشارع ونواهيه وأدائه لمناسكها على النحو المأمور به تحتمل كذلك وقوع بعض التجاوزات والقصور في الأداء، ومن أجل ذلك شرع جبر القصور والخلل في أدائها بالكفارات والغفدية والهدى.

والسياحة الدينية أو السفر والانتقال بين الأماكن في عالمنا المعاصر تنحصر إلى أماكن معدودة هي على سبيل الحصر: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس (في فلسطين) والفاتيكان (في إيطاليا) وكربلاء والنجف الأشرف (في العراق) حيث توجد مرافد الأئمة والصحابة، وهي أماكن مقدسة في المذهب الشيعي، وذلك بالإضافة إلى أضرحة ومرافد أولياء الله الصالحين المنتشرة في بعض الدول والتي جرت عادة شعوبها على زيارتها والدعاء إلى الله عز وجل عندها بالحاجات توسلاً بصالح أعمال أصحابها إلى الله سبحانه مظنة قبول الدعاء. كما تمتد لتشمل مسار العائلة المقدسة في مصر والذي يعد مزاراً سياحياً للمتدينين المسيحيين.

ولسنا الآن في مجال الحكم على شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى) وما إذا كان ذلك حلالاً أو حراماً مشروعاً أو غير مشروع، وإنما نحن في مقام توصيف أمر واقع وعادات قديمة لبعض شعوب الدول وما تحدثه السياحة إلى هذه الأماكن من زيادة الطلب الفعال على كثير من الخدمات ومن رواج اقتصادي في أسواق هذه الأماكن، ومن آثار اقتصادية مماثلة لآثار الحج والعمرة والزيارة.

سادساً: السياحة العلمية:

ورد في الأثر أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: "أطلبوا العلم ولو في الصين" وما ذلك إلا لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد كان السفر والرحلة في طلب العلم والتنقل بين مكة والمدينة ومصر وبغداد والبصرة وفاس هو ديدن وعادة أئمة الفقه الإسلامى والتفسير والحديث والتاريخ من أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وابن تيمية وابن القيم والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن بطوطة وغيرهم حيث كانوا يرتحلون في طلب العلم والسماع والقراءة والإجازة على أكابر علماء هذه الأمصار وقد أخذت المملكة العربية السعودية بهذا المنهج في البناء العلمى الصحيح لشباب المتخرجين فيها، وما برنامج الملك عبدالله بن عبدالعزيز طيب الله ثراه للابتعاث العلمى إلى مختلف الدول المتقدمة علمياً مثل أمريكا والدول الأوربية، إلا مظهراً من مظاهر تفعيل السياحة العلمية، وما برنامج المنح الدراسية التى تقدمها الجامعات السعودية للطلاب الوافدين من مختلف دول العالم للدراسة فيها، إلا مظهراً آخر من مظاهر تفعيل هذه السياحة.

سابعاً: السياحة الثقافية:

وهى ذلك النوع الذي يعتمد على إقامة المعارض والمتاحف والمهرجانات والمسابقات الثقافية في كافة مجالات الثقافة والفنون والآداب مثل معرض القاهرة الدولى السنوي للكتاب، والمتحف المصري الكبير ومهرجان جرش في الأردن ومهرجان بعلبك في لبنان وبابل في العراق، ومهرجان السينما العربية في القاهرة وجوائز الأوسكار في أمريكا، ومهرجان كان للسينما العالمية، وتهدف السياحة الثقافية إلى التعرف على ثقافات الشعوب والأجناس ومشاهدة آثار الأمم السابقة وزيارة الأماكن التاريخية والحضارية، ولا تقتصر السياحة الثقافية على السائحين الأجانب الوافدين للمشاركة أو المشاهدة بل تشمل كذلك المواطنين في داخل الدولة صاحبة الفاعلية.

ثامناً: السياحة العلاجية:

لقد أدت الحضارة المادية في القرن العشرين الميلادي إلى تلوث بيئي عالمي ناتج عن انتشار الغبار النووي من استخدام اليورانيوم المخصب في العديد من الحروب الإقليمية ومن المفاعلات الذرية المنتشرة في أرجاء العالم، وقد كان من آثار ذلك ظهور العديد من الفيروسات والأمراض المستعصية على العلاج الدوائي الكيميائي ومنها أمراض السرطان والكبد الوبائي والفشل الكلوي وأمراض الجهاز العصبي والجهاز التنفسي وغير ذلك من الأمراض، التي حفزت الكثير من المرضى حول العالم إلى اللجوء إلى العلاج الطبيعي.

وقد كان ذلك مدعاة لظهور نوع جديد من السياحة يعرف بالسياحة العلاجية والصحية وبخاصة في الدول التي تمتلك مقومات ومتطلبات هذه السياحة ومن أهمها: توفير الأجواء النقية الصحية وأنواع معينة من الرمال ذات الطبيعة الخاصة، ووجود المياه المعدنية والكبريتية الطبيعية.

وقد سعت هذه الدول إلى استغلال هذه المقومات الطبيعية استغلالاً اقتصادياً فأقامت المستشفيات والمصحات وأعدت الكوادر الطبية المتخصصة ووفرت الخدمات السياحية المعاونة من المترجمين والمرشدين السياحيين والمطاعم الخاصة ثم قامت بالترويج السياحي لهذه المقاصد العلاجية لجذب المرضى إليها من داخل البلاد ومن خارجها، ولعل من أشهر مناطق السياحة العلاجية ما يلي:

- ١- حمامات فرعون وعيون موسى ومياه حلوان الكبريتية في مصر.
- ٢- حمامات معين وعفراء ومياه البحر الميت في المملكة الأردنية.

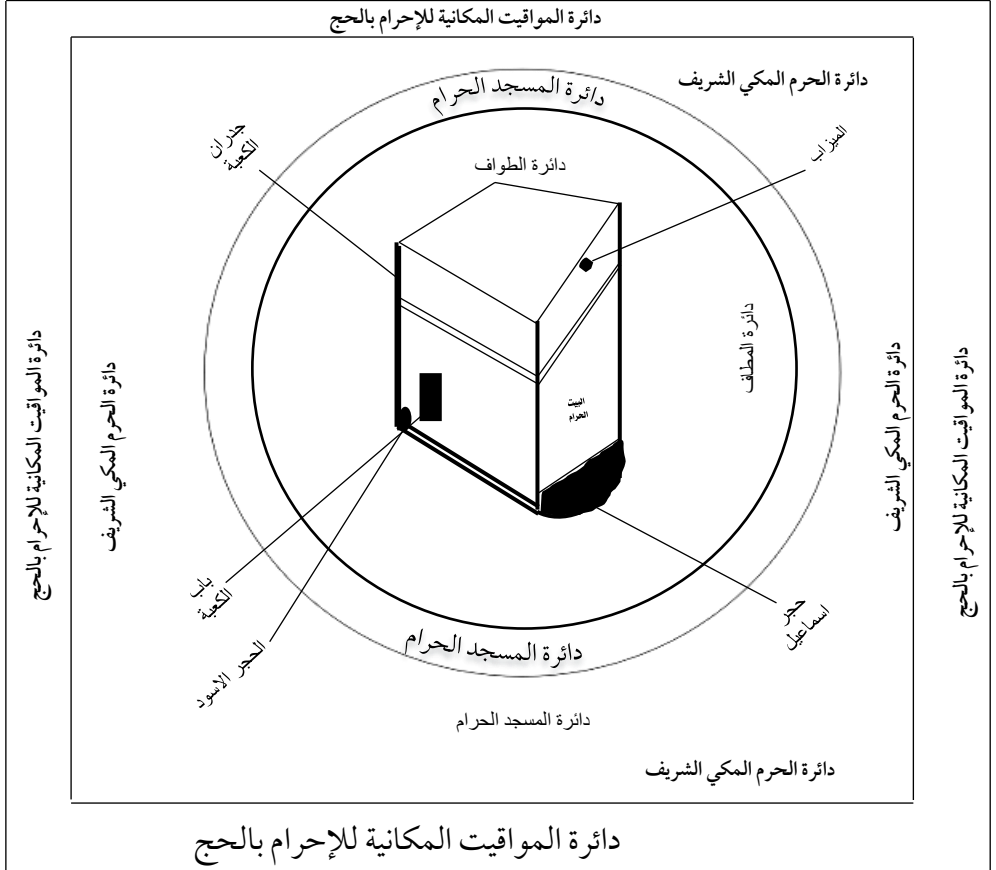
ومما هو جدير بالقول أن السياحة العلاجية تعد مصدراً مهماً للدخل في الدول التي تمتلك مقوماتها، نظراً لارتفاع نفقات السائح ومرافقيه والارتفاع النسبي في تكلفة العلاج.

(ب)

الخريطة الجيودينية للحرم المكي الشريف

رسم كروكي تقريبي لبيت الله الحرام بمكة المكرمة مكون من ست دوائر متداخلة.

- ١- بيت الله الحرام في الوسط
- ٢- الكعبة المشرفة المحيطة بالبيت الحرام
- ٣- دائرة المطاف
- ٤- دائرة المسجد الحرام المحيطة بالمطاف
- ٥- دائرة الحرم المكي الشريف
- ٦- دائرة المواقيت المكانية للإحرام بالحج



تنبيه: كل دائرة من هذه الدوائر الست لها أحكام فقهية خاصة بما يدل على تميز واختلاف كل دائرة عن باقي الدوائر.

الفصل الخامس

الجغرافيا السياحية للحرمين الشريفين

والمشاعر المقدسة

تمهيد:

يحتاج المرشد السياحي المرافق لوفود الحجاج والمعتمرين والزوار إلى معرفة كافة المعلومات الدقيقة والصحيحة عن معالم الخريطة الجيودينية للحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة، وكذا عن معالم الخريطة الجيودينية للحرم المدني الشريف، ونعني بالخريطة الجيودينية الجغرافية التي لها ارتباط مباشر أو غير مباشر بالحج والعمرة والزيارة، ولمزيد من التوضيح نقول:

إن من أهم المواقع الجغرافية الموجودة في الخريطة الجيودينية للحرم المكي الشريف:

- ١- المواقيت المكانية للحج والعمرة للقادمين من خارج مكة ومن داخلها.
- ٢- حدود وأعلام الحرم المكي الشريف.
- ٣- المسجد الحرام وبئر زمزم والحجر الأسود ومقام إبراهيم والملتزم.
- ٤- المطاف والشاذوران وحجر إسماعيل.
- ٥- حدود البيت الحرام (جدران الكعبة المشرفة).
- ٦- مقر البيت الحرام ومساحته وبُعده الثالث.
- ٧- غار حراء وغار ثور.
- ٨- جبال مكة المكرمة ومساجدها الأثرية ومقابر المعلا.
- ٩- حدود المشاعر المقدسة (عرفة ومزدلفة ومنى) ومقار رمي الجمرات.

ونحن في هذا الفصل سوف نقدم شرحاً تفصيلياً لمواقع ومعالم الخريطة الجيودينية للحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة وكذا المواقع ومعالم الخريطة

الجيودينية للحرم المدني الشريف، في مبحثين رئيسيين، وذلك بعد أن نقدم بالتعريف بلفظ الحرم.

التعريف بلفظ الحرم (ومشتقاته):

الحرم بفتح الحاء والراء بمعنى الحرام مثل زمن وزمان، والحرام ضد الحلال قال تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرْنِهِ أَهْلَكُنْهَا أَهْمَ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الآية ٩٥ الأنبياء.

والحرم لغة: وصف للشئ الممنوع فعله شرعاً وهو مصدر للفعل حرم، يقال حرم الشئ حرماً وحراماً إذا امتنع فعله، والممنوع يسمى حرماً تسمية بالمصدر والحرمة ما لا يحل انتهاكه، فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده^(١) والحرمة أيضاً المهابة^(٢) والجمع: حرمان مثل عرفة وعرفات.

والشهر الحرام هو الذي يحرم فيه القتال، وأي انتهاك يمس الأمن الاجتماعي، والأشهر الحرم (بضمتين) أربعة وهي: رجب، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ويوصف بيت الله في مكة المكرمة بوصف الحرام فيقال البيت الحرام الذي لا يجوز انتهاك حرمة والذي يجب إحترامه.

وقد ورد لفظ الحرام في القرآن الكريم وصفاً لخمسة مواضع (دوائر متداخلة):

١ - الموضع الذي بداخل قواعد الكعبة التي رفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ الآية ٩٧ المائدة.

(١) معجم مقاييس اللغة لأبن فارس ج ٢ ص ٤٥.

(٢) د/ محمد الكتاني - موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي - دار الثقافة للنشر - الدار البيضاء المغرب ج ١ ص ٨٣١.

٢- الكعبة المشرفة ذاتها باعتبارها مكين لمكان البيت (أي علامات وحدود محددة لمكان البيت) قال تعالى: ﴿قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية ١٤٤ البقرة.

٣- الدائرة المحيطة بالكعبة المشرفة والمعدة للطواف والصلاة فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعُكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الآية ٢٥ الحج.

٤- مكة المكرمة جميعها قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ الآية ١ الإسراء.

٥- ما بداخل أعلام وحدود الحرم المكي التي وضعها خليل الله إبراهيم بمصاحبة أمين الوحي جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ الآية ٢٨ من سورة التوبة.

والملاحظ: أن هذه المواضع الخمسة عبارة عن دوائر متداخلة، وأنه وبحسب نظرية الدوائر المتداخلة لا مانع من اطلاق وصف الحرم على جميع هذه الدوائر والحرم في الاصطلاح الشرعي: نقيض الحلال وهو ما طلب الشارع الحنيف الكف عن فعله على وجه الإلزام لدليل قطعي أو ظني.

وهو أيضاً أحد مراتب الأوامر أو الأحكام الشرعية وأعلى مراتب الممنوعات فيها حيث يقال: قتل النفس المعصومة بغير حق حرام.

والحرم في العرف المشهور عند الفقهاء^(١) هو مكة المكرمة وما أحاط بها من جميع جوانبها إلى أنصاب وأعلام الحرم المبينة لحدوده، على ما ذهب إليه القرطبي في

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من آثار - أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى - تحقيق - شدي

الصالح - مطابع دار الثقافة - مكة ج ٢ ص ١٢٧.

تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ الآية ٦٧ العنكبوت وعلى ظاهر قوله ﷺ: "إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدى^(١).

وأما الإحرام فهو مصدر أحرم وهو لفظ يدل على الإمساك عن أفعال كانت مباحة قبل حصوله في حالتي التلبس بنية الحج أو العمرة من الميقات المكاني المحدد لهما وهو: ذو الحليفة للقادمين من المدينة المنورة، والجحفة للقادمين من الشام ومصر، وقرن المنازل للقادمين من نجد، ويللم للقادمين من اليمن، وذات عرق للقادمين من العراق، حيث يجب الإحرام بالحج أو بالعمرة عند هذه المواقيت وإلا وجبت الفدية أو الرجوع إلى الميقات للإحرام فيه.

ويقال أيضاً للميقات (مَهَلٌّ) أي الموضع الذي يبدأ فيه الإهلال والإهلال هو التلبية بالحج أو بالعمرة بالصيغة المعروفة للتلبية، وعلى هذا يستعمل لفظ الإهلال بمعنى الإحرام فيقال: أهل بالحج بمعنى أحرم بالحج^(٢).

ويقتضى الإحرام بالحج أو بالعمرة امتناع المحرم عن فعل عدة أمور هي: النكاح والجماع والتطيب وإراقة الدم والصيد وقص الشعر وتقليم الأظافر واقتلاع نبات الحرم، كما يقتضى الإحرام بالحج أو بالعمرة فعل عدة أمور هي: التجرد من لبس المخيط ولبس أزار ورداء جديدين أو نظيفين، وصلاة ركعتين سنة الإحرام والإكثار من التلبية.

(١) الجامع لأحكام القرآن - أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي - دار إحياء التراث العربي بيروت

١٩٨٥ ج ١٣ ص ٣٦٣.

(٢) أبو بكر - أرم ذات العماد - موجز دائرة المعارف الإسلامية - مركز الشارقة للإبداع الفكري -

١٩٩٨ ج ٢ ص ٤٥٦.

المبحث الأول

الخريطة الجيودينية للحرم المكي الشريف

تتلوز هذه الخريطة في ست دوائر متداخلة، تبدأ في مركزها الرئيسى من البقعة الطاهرة المباركة (بيت الله) وهى البقعة الكائنة داخل القواعد التى رفعها إبراهيم الخليل وولده إسماعيل، تلك القواعد التى عرفت فيما بعد بالكعبة المشرفة، وأما الدائرة الثانية فهى دائرة جدران الكعبة والتى تعتبر مكيّناً لمكان البيت، أي حدوداً وعلامات محددة لمكان البيت الحرام، وأما الدائرة الثالثة فهى دائرة المطاف حول البيت، وأما الدائرة الرابعة فهى دائرة المسجد الحرام وأما الدائرة الخامسة فهى دائرة الحرم المكى وتبدأ من خارج المسجد الحرام إلى أعلام وأنصاب الحرم السبع، وأما الدائرة السادسة فهى دائرة المواقيت المكانية للإحرام بالحج بالنسبة للقادمين من آفاق الأرض بنية أداء الحج والعمرة.

وتدل الأحكام الفقهية الخاصة بكل دائرة على اختلافها عن باقى الدوائر وإن كانت نظرية الدوائر المتداخلة لا تمنع من اطلاق وصف الحرم على جميعها.

حدود الحرم المكي الشريف:

تبدو أهمية تحديد حدود الحرم الملكى الشريف من ارتباط مواقع ومعالمة بمناسك الحج والعمرة ومحظورات الأفعال التى شرعت تعظيماً وتكريماً للمكان، وقد نقل علماء التاريخ والسّير في تحديد حدود الحرم جملة من الروايات منها:

(أ) ما نقله الأزرقى في أخبار مكة والفاسى في شفاء الغرام أن خليل الله إبراهيم عليه السلام لما رفع القواعد من البيت الحرام طلب من ولده إسماعيل أن يأتيه بحجر يجعله آية للناس لبدء ونهاية الطواف بالبيت، فذهب إسماعيل ولكنه رجع ولم يأت بشئ، ولكنه وجد الركن (الحجر الأسود) عنده، فقال: من أين لك بهذا! قال إبراهيم جاء به من لم يكنى إلى حجرى، جاء به جبريل عليه السلام فوضعه إبراهيم في موضعه فأثار

شرقاً وغرباً ويمناً وشمالاً، فحرم الله الحرم حيث انتهى إليه نور الركن وإشراقه من كل جانب^(١).

(ب) ما نقله الأزرقى من أن خليل الله إبراهيم بعد أن دعا ربه بما أخبر به القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ الآية ١٢٨ البقرة، نزل إليه جبريل فذهب به فأراه المناسك وأوقفه على حدود الحرم، فكان إبراهيم ينصب فوقها الأعلام/ الأنصاب^(٢) (أي العلامات التي تبين حدوده). وهذه الحدود هي:

(١) مسجد التنعيم (مسجد عائشة) طريق المدينة المنورة أو طريق وادي فاطمه والذي منه يحرم المقيمون في مكة للعمرة، وتقدر المسافة بينه وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال (باب العمرة) باثنى عشر ألف ذراع وأربعمئة وعشرين ذراعاً بذراع اليد أي حوالي ستة آلاف ومائة وثمانية وأربعون متراً^(٣).

(٢) وحد الحرم من طريق اليمن القديم (طريق جبل ثُبَيْن) بالقرب من الببان أو العُقَيْشِيَّة، على رأس جبل عُرَّاب، فإن المسافة بينه وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال تقدر بنحو سبعة أميال أي نحو أربعة وعشرين ألف وخمسمئة وتسعة أذرع أي ما يعادل ٨٤٠٧ متراً باعتبار أن الميل يعادل ١٢٠١ متراً.

^(١) أخبار مكة - الأزرقى ج ٢ ص ١٢٨ مرجع سابق، وراجع: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - محمد

بن على الفاسي المالكي - دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ص ٥٤.

^(٢) أخبار مكة - الأزرقى ج ٢ ص ١٢٨ مرجع سابق.

^(٣) د/ باسم مهدي السامرائي - أحكام الحرمين المكي والمدني في الفقه الإسلامي - دار الزمان للنشر

بالمدينة المنورة ٢٠٠٩ ص ٧١.

(٣) وأما حده من طريق جدّه / الحديبية، فيقع عند الشميسى، وتقدر المسافة بين أعلام / أنصاب الشميسى وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال بنحو ثمانية عشر ميلاً أي ما يعادل ٢١٦١٨ متراً أي نحو ٦٣٠٠٠ ثلاثة وستين ألف ذراع.

(٤) وأما حد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن نمرة فإن أنصاب الحرم توجد في السهل الواقع على الضفة الغربية لوادي عُرنة. وتوجد الآن حدود أخرى مقابلة لهذه الحدود على الطريق الجديد (مكة - الهدا - الطائف) موضوعة على جبل قرن العابدية (قريباً من موقع جامعة أم القرى) على الغرب قليلاً من التقاء وادي عرنة بوادي نَعْمَان.

وتقدر المسافة بين حد الحرم من هذه الجهة وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال بنحو أحد عشر ميلاً أي ما يعادل ثمانية وثلاثين ألفاً وخمسمائة ذراع، أي ما يعادل ١٣٢١١ ثلاثة عشر ومائتين وأحد عشر متراً تقريباً.

(٥) وأما حد الحرم من طريق العراق / نجد (ثنية خلّ بالمقطع) عند الشرائع السفلى أو قرية المجاهدين فإن أعلام الحرم الموجودة الآن والتي يمر بها الطريق العام المتجه إلى السيل والطائف تقدر المسافة بينهما وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال بنحو سبعة أميال أي ما يعادل ٢٤٥٠٠ أربعة وعشرين ألف وخمسمائة ذراع أي ما يعادل ٨٤٠٧ ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة أمتار تقريباً.

(٦) وأما حد الحرم من طريق الجِعْرَانِه (بين مكة والطائف والتي أحرم منها رسول الله ﷺ بالعمرة عندما رجع من الطائف بعد فتح مكة) فإن أعلام الحرم الموجودة الآن على رأس ثنية يقال لها النُقُوء، تقدر المسافة بينهما وبين المسجد الحرام على أرجح الأقوال بنحو تسعة أميال أي ما

يعادل ٣١٥٠٠ واحد وثلاثين ألف وخمسمائة ذراع أي ما يعادل

١٠٨٠٩ عشرة آلاف وثمانمائة وتسعة أمتار^(١).

رؤية الدراسة في التحديد السابق لحدود الحرم المكي:

تري الدراسة أن الحرم باعتباره مصدراً يأتي بمعنى الحرام، ووصفاً لمكان مخصوص لا نظير له على سطح الكرة الأرضية يمتنع على كل من وجد فيه من البشر أن ينتهك حرمة^(٢)، ويجب على كل من وجد فيه من البشر أن يعظمه ويحترمه ويهابه ويمتنع عن فعل أفعال يحل له فعلها خارج حدوده.

وأن حرم مكة المكرمة على أحد قولين للعلماء إنما صار حرماً بتحريم المولى عز وجل له من الجبابة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ الآية ٦٧ العنكبوت، وبإجابة الله لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ الآية ١٢٦ البقرة حيث تم تحريمه من الجذب والقحط^(٣).

كما يدل ظاهر بعض الروايات على أن مكة كانت حلالاً كسائر البلاد قبل دعوة إبراهيم وأنها صارت حرماً آمناً من الغزو والقتال فيها بدعوة إبراهيم وبتحريم إبراهيم لها، لما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله ﷺ: "إن

^(١) راجع في حدود الحرم الست: د/ سامي بن محمد الصقير - أحكام الحرم المكي - دار ابن الجوزي للنشر بالرياض ١٤٣٣ هـ ص ٣٣ - ص ٣٨. وراجع كذلك: الايضاح في مناسك الحج - الإمام النووي - دار الحديث بيروت، وراجع: القرني لقاصدي أم القرى - محب الدين الطبري - تحقيق مصطفى السقا - مطابع مصطفى البابي الحلبي مصر.

^(٢) راجع: معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - دار صادر بيروت ١٣٧٦ هـ ج ٢ ص ٢٨٠.

^(٣) الأحكام السلطانية للمارودي - دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٠٩.

إبراهيم كان عبدالله وخليله، وإني عبدالله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها" يريد المدينة^(١) وفي رواية أخرى: "إن إبراهيم كان عبدالله وخليله، وإني عبدالله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاهها ولا يصاد صيدها، ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر إلا لعلف بعير"^(٢).

وتري الدراسة الماثلة أن هذا التحريم لم يكن ضرباً من ضروب التحكّم أو التعسف وإنما كان لعل وحكم تشريعية كثيرة من أهمها:

(١) تعظيم المكان الذي شرف بوجود بيت الله فيه ومن أهم مظاهر هذا

التعظيم:

أ) مضاعفة الثواب على العمل الصالح فيه، للمحرم بالحج أو بالعمرة ولغير المحرم بهما.

ب) مضاعفة الجزاء على السيئات فيه إلى درجة توقيع العقاب على مجرد الهمّ بارتكاب المعصية فيه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

ت) كراهة الاستجمار (الاستنجاء بالحجر) بحجارته للمحرم ولغير المحرم.

(٢) تحريم الصيد بداخله بالنص والإجماع على المحرم وعلى غير

المحرم^(٣) مع فرض الجزاء على الصيد فيه "﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ومن مظاهر هذا التحريم:

أ) لزوم إطلاق صيد البر إذا أدخل إلى حرم مكة حياً^(٤).

^(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٢٤.

^(٢) الميسوط لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي - مطبعة السعادة بمصر ج ٤ ص ١٠٥.

^(٣) حاشية ابن عابدين - رد المحتار على الدر المختار - مطابع مصطفى الحلبي مصر ١٩٦٦ ج ٢ ص ٣٥٢.

^(٤) المغني لابن قدامة - دار الكتاب العربي بيروت ج ٥ ص ١٩٣.

- ب) اعتبار الصيد الذي قتل في مكة ميتة يحرم أكله^(١).
- (٣) تحريم قطع (قلع) شجر وحشيش الحرم المكي بالنص والإجماع أو أخذ شيء منهما.
- (٤) تحريم القتال في الحرم المكي بالنص والإجماع^(٢) وتحريم حمل السلاح فيه.
- (٥) منع الكافرين من دخول الحرم المكي بالنص والإجماع^(٣). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ الآية ٢٨ التوبة.
- (٦) منع احياء مواته والتقاط لقطته إلا لمنشد^(٤).
- (٧) لزوم الإحرام من الميقات لدخول الحرم المكي بنية الحج أو العمرة.
- وترى الدراسة الماثلة أن محظورات الأعمال السابقة داخل حدود الحرم المكي تعم جميع المتواجدين فيه سواء كانوا محرمين بالحج أو بالعمرة أو غير محرمين بهما، وسواء في الأشهر الحرم أو في غيرها من شهور السنة، وسواء كان مرتكب المحظور رجلاً أو امرأة أو طفلاً مميزاً.
- وترى الدراسة الماثلة أنه لما كان الحظر السابق بيانه معللاً، فإن رسول الله ﷺ قد ألحق بحدود الحرم دائرة مكانية أوسع منه ومحيطه به تبدأ من خلف أعلام/ أنصاب

^(١) الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى المفراء تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ ص ١٩٣.

^(٢) أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ج ١ ص ١٨٥.

^(٣) مغني المحتاج للخطيب الشربيني ج ٢ ص ٤١٧ وراجع: كشاف القناع - منصور بن يونس البهوتي ج ٤ ص ٢١٨.

^(٤) الفروع لابن مفلح - عالم الكتب بيروت ج ٣ ص ٤٨٨

الحرم الست السالفة الذكر وتنتهى عند حدود المواقيت المكانية للحج والعمرة للقادمين من كل فج عميق من الآفاقيين القاصدين دخول الحرم لأداء الحج أو العمرة. والمواقيت المكانية هي الأماكن التي حددها رسول الله ﷺ لتكون محلاً للإحرام بالحج أو العمرة لمن خلفها^(١) من المسلمين الآفاقيين.

وقد بين رسول الله ﷺ هذه المواقيت وحدها فيما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: وقت النبي ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة (أيبار على الآن) ولأهل الشام: الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هنّ لهنّ ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمّن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة^(٢).

أما ذات عرق فقد ذكر البخاري عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال^(٣) لما فُتح المصران (لعله يقصد العراق) أتوا عمر رضى الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ، حدّ لأهل نجد قرناً، وهو جور عن طريقنا وإنا إن أردنا قرناً شقّ علينا، قال: فانظروا حدودها من طريقكم، فحدّ لهم ذات عرق". وقد قيل: إن النبي ﷺ هو الذي وقتها وسيأتي مزيد من التفصيل عن دائرة المواقيت في الفصل القادم. وبناء عليه:

فإن النصوص الشرعية قد تواترت على وجوب أن يحرم أهالى الجهات التى خلف المواقيت المكانية الخمس عند إرادة دخول الحرم المكى لأداء الحج أو العمرة من الميقات المخصص لكل جهة أو من محاذاته، حيث يعد من مرّ على ميقاته المكانى أو محاذاته راكباً أي وسيلة من وسائل النقل القديمة (الابل والخيول والبغال والحمير) أو الحديثة (السيارات والطائرات والبواخر) وأحرم من ميقات جهته المنصوص عليه، يعد محرماً يحظر عليه كافة محظورات الإحرام. وبناء على ما تقدم:

(١) العدة شرح العمدة - بهاء الدين المقدسي - دار الفكر بيروت - ١٩٩١ ص ١٦٥.

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث ١٥٢٤؟

(٣) صحيح البخاري - كتاب الحج باب ذات عرق لأهل العراق حديث رقم ١٥٣١.

فإن الدائرة الواقعة بين حدود الحرم وحدود المواقيت تعتبر في نظر المشرع الحنيف حرماً وتأخذ جميع أحكام الحرم بالنسبة لمن يحرم منها بالحج أو بالعمرة أما بالنسبة لغير المحرمين بالحج أو بالعمرة منها، فإنها حلّ لهم وليست حرماً وعليه فإن هذه الدائرة حرم خاص وليست حرماً عاماً.

كما أنها حرم خاص بالنسبة للمحرم منها مدة إحرامه فقط فإذا تحلل من إحرامه بإتمام مناسك الحج أو العمرة أو لإبطاله لهما أو لإحصاره عنهما عادت إلى حكمها الأول وهو الحل.

ومما هو جدير بالقول أن الفقهاء قد اختلفوا في دخول الأفاقي المقيم خارج دائرة المواقيت إذا أراد دخول الحرم لحاجة أخرى غير النسك هل يجب عليه الإحرام بأحد النسكين (الحج أو العمرة) إذا مرّ على ميقاته المكاني أم يجوز له مجاوزة الميقات بغير إحرام. وموجز مذاهب الفقهاء في ذلك هو:

- ١ - قال فقهاء الحنفية: لا يجوز له أن يتجاوز الميقات إلا محرماً، فإن جاوزه بغير إحرام فعليه دم فإن عاد فأحرم منه سقط الدم، وهذا إذا كان قاصداً دخول الحرم، فإن كان قاصداً دخول موضع آخر غير الحرم مثل جدة أو خليص حل له مجاوزة ميقاته بغير إحرام^(١).
- ٢ - قال فقهاء الحنابلة: لا يجوز لمن أراد دخول مكة أو دخول الحرم أو أراد نسكاً تجاوز الميقات بغير إحرام لأنه لم ينقل عن الرسول أو عن أحد من الصحابة أنهم تجاوزوها بغير إحرام، إلا إذا كان دخوله لحاجة متكررة^(٢) (كطالب علم ومكي له مزرعة يتعهدها يومياً ويتردد بينهما وبين مكة كل يوم).

^(١) فتح القدير - لكمال بن الهمام - دار صادر بيروت ج ٢ ص ١٣٢.

^(٢) كشف القناع - منصور بن يونس البهوتي - ج ١ ص ٥٦٢.

ولما كان المسمى العلمى لهذه الدراسة هو: السياحة الدينية إلى الحرمين الشريفين وهو ما يعنى ارتباطها الوثيق بالمعالم والمواقع الأثرية الكائنة داخل حدود الدوائر الست المشار إليها، وعلاقة هذه المعالم والمواقع بفريضتي الحج والعمرة لذلك:

فإننا سوف نتولى التعريف بالمعالم والمواقع الأثرية الكائنة في كل دائرة على حدة مع التعرض في إيجاز للأحكام الفقهية المرتبطة بكل موقع أو معلم، وذلك في ستة مطالب رئيسية على النحو التالي:

المطلب الأول

المعالم الأثرية في دائرة المواقيت

وعلاقتها بفريضتي الحج والعمرة

المواقيت: جمع ميقات، والميقات لغة: الحد، وشرعاً: موضع معين لعبادة مخصوصه^(١) والميقات يفعال من وقت الشيء يوقته أي حدد له وقتاً، وأصله موقات قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار الميم، والمواقيت نوعان: زمانية، ومكانية وإليها يشير النص القرآني الكريم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الآية ١٩٩ من سورة البقرة. قال الجوهري في صحاح اللغة: الميقات: الوقت المضروب للفعل، والموضع، يقال هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يحرمون منه^(٢).

وقد عنون البخاري لبعض أبواب كتاب الحج من صحيحه بقوله: "باب فرض مواقيت الحج والعمرة"، ولباب آخر بعنوان: "باب مهل أهل مكة للحج والعمرة" وروي في كل باب منهما جملة من الأحاديث النبوية، كما فعل ذلك أيضاً الإمام مسلم

^(١) كشف القناع - للشيخ منصور بن يونس البهوتي - تحقيق محمد أمين الضناوي - عالم الكتب بيروت ١٩٩٧ ج ٢ ص ٢١٧.

^(٢) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٦٩ مادة (وقت).

في صحيحه حيث جاء أحد أبواب كتاب الحج يحمل عنوان: "باب مواقيت الحج والعمرة" كما جاء في سنن أبي داود (باب المواقيت).

وقد حذت صحاح السنة في العنونة بهذه العناوين حذو كتب الفقه الإسلامي فقد جاءت مواقيت في الجزء السابع من كتاب المجموع للإمام النووي شرح المذهب للشيرازي تحت عنوان - كتاب الحج باب المواقيت^(١) كما جاء بنفس العنوان في كشف القناع للبهوتي^(٢) وفي أغلب إن لم يكن كتب الفقه المعتمدة في جميع المذاهب. المواقع الأثرية في دائرة المواقيت: تنتوع هذه المواقع إلى:

١- الجبال والأودية.

٢- المساجد.

أولاً: الجبال والأودية والمساجد الواقعة في دائرة ميقات أهل المدينة:

(١) وادي ذو الحليفة (ميقات أهل المدينة ومن وراءها) وعوام الناس يسمونها آبار أو أبيار على^(٣) والحليفة بضم الحاء وفتح اللام والفاء وإسكان الياء تصغير لكمة حلفة وهي نبات ينمو ويتواجد بكثرة في هذا المكان^(٤).

والحليفة مكان أو قرية تقع شرق طريق المدينة - جدة - مكة المكرمة السريع على حافة الضفتين الشرقية والغربية لوادي العقيق على بُعد أحد عشر كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة، وعلى مسافة

^(١) المجموع للنووي تحقيق محمد نجيب المطيعي ج ٧ ص ٤٢٥.

^(٢) كشف القناع للبهوتي ج ٣ ص ٢١٧.

^(٣) عمدة القاري للإمام العيني - دار احياء التراث العربي بيروت ج ٣٥ ص ٤٥٥.

^(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للفيومي - المطبعة الأميرية مصر ١٩٢٨ ج ١ ص ١٤٦.

نحو ٤٣٥ أربعمائة وخمسة وثلاثين كيلو متراً من مكة المكرمة^(١) وهو أبعد المواقيت عن مكة المكرمة.

(٢) مسجد الشجرة بذي الحليفة (مسجد المعرس - مسجد المحرم) وهو المسجد الضخم المقام حالياً بمنطقة أبيار على ذو المداخل العشر الخاصة بالرجال شرقي المسجد وغربه، والمداخل الثلاث الخاصة بالنساء والمآذن الأربع الموزعة على أركانه والمئذنة الصغيرة في وسطه، والذي يرتفق بستمائة ٦٠٠ حمام (دورة مياه) كل حمام منها مزود بدوش للاستحمام (الاغتسال للإحرام) وبمواقف سيارات وسوق كبير لتوفير ملابس الإحرام والذي كان آخر تجديد له في عهد المغفور له بأذن الله تعالى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز. وترجع تسمية هذا المسجد بمسجد الشجرة إلى شجرة الطلع التي نزل عندها رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأحرم عندها وصلى إلى جوارها^(٢). وأول من بنى مسجد ذي الحليفة في هذا المكان هو الأمير الأموي عمر بن عبدالعزيز^(٣) بأمر من ابن عمه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، ثم تم تجديده عدة مرات كان آخرها في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز.

(١) أ.د/ فوزي محمد ساعاتي - مساجد المواقيت ومكة المكرمة - بدون ناشر ١٤٣٢ ص ١١.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب الصلاة في مسجد ذي الحليفة.

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم تولى إمارة المدينة المنورة ٨٧-٩٣ هـ ثم تولى الخلافة ٩٩-١٠١ هـ. راجع: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٧٦ ج ٦ ص ٥٥٠-٥٦.

ثانياً: المواقع الأثرية الكائنة في ميقات الجحفة (مهيبة):

ميقات أهل الشام ومصر الجحفة: بضم الجيم وإسكان الحاء وفتح الفاء قرية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة^(١) يقول العلامة منصور بن يونس البهوتي في كشف القناع: وميقات أهل الشام وأهل مصر وأهل الغرب: الجحفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة، وهى قرية على طريق المدينة، وكان اسمها مهيبة، فجحف السيل بأهلها^(٢) فسميت الجحفة وهى قرية بقرب رابغ الذي يحرم منه الناس الآن على يسار الذهاب الى مكة ومن أحرم من رابغ، فقد أحرم قبل محاذاة الجحفة بيسير، وتلى ذا الحليفة في البعد^(٣)... وذلك حيث تعتبر قرية رابغ في محاذاة قرية الجحفة ويصح الإحرام منها.

ويذكر الدكتور فوزي ساعاتي^(٤) أن الجحفة تقع إلى الشمال الغربى من مكة المكرمة إلى الشمال الشرقى من رابغ وأنها على بعد ١٧ كيلو متراً من رابغ، وأن المسافة بين الجحفة وحدود مكة المكرمة من جهتها تقدر بـ ١٨٣ مائة وثلاثة وثمانين كيلو متراً وهى ميقات أهل الشام ومصر والمغرب العربى والدول الواقعة وراها من الدول الإفريقية والأوربية القادمين من طريق مصر وكل من يمر كذلك بمحاذات البحر الأحمر، فإن الفقهاء قد أنفقوا على أن المواقيت كما ورد في حديث ابن عباس لأهلها ولكل من أتى عليها من غير أهلها ممن أراد الحج والعمرة^(٥).

^(١) معجم البلدان - ياقوت الحموى - دار صادر بيروت ١٣٧٦ هـ ج ٢ ص ١١١.

^(٢) والبعض يسمي الجحفة مهيبة بفتح الميم والياء مع سكون الهاء بينهما، والمهيح الطريق الواسع المنبسط، فلما جحفها (جرفها) السيل سميت الجحفة.

^(٣) كشف القناع - البهوتي ج ٢ ص ٢١٧. مرجع سابق.

^(٤) أ.د/ فوزي ساعاتي ص ١٧.

^(٥) المجموع شرح المذهب للنووي دار عالم الكتب بالرياض ج ٧ ص ١٢٩ مرجع سابق.

مسجد الجحفة:

يعتبر مسجد ميقات الجحفة من المواقع الأثرية التي يرجع بناؤه إلى القرن الأول الهجري، وقد كان في بدء إنشائه مسجد صغير متواضع البناء من الطوب اللبنى (المصنوع من الطين والحلفاء) والمسقوف بجريد النخيل، وقد أعيد بناؤه عدة مرات كان آخرها في عام ١٤٠٥ / ١٩٨٤ حيث بني على الطراز الحديث الخرساني.

وتبلغ مساحته الآن بمرافقه من دورات المياه والاستراحات ومواقف السيارات حوالى ٤٠٠, ١٤ أربعة عشر ألف وأربعمائة متر مربع ويتسع لاستيعاب نحو ٢٢٠٠ مصلى في وقت واحد وهو مجهز بكافة التجهيزات من تهوية وإضاءة وتكييف مركزي ومكبرات صوت ويضم نحو ٤٨ حماماً للرجال، ١٦ حماماً للنساء، ٤٨ غرفة للإحرام وفي عام ١٤٣٠ / ٢٠٠٩ أعيد ترميم مرافقه^(١).

ثالثاً: ميقات ذات عِرْق: (مهَلّ أهل العراق ومن خلفها من دول المشرق):

وعِرْق بكسر العين وسكون الراء جمع عروق، وهو جبل صغير يشرف على مكان الميقات يعلوه عرق على شكل عرف يمتد نحو ٥, ١ كيلو من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى^(٢)، وقيل: إن العرق هو الأرض السبخة منسوبة إلى قرية تسمى الآن الضريبة، والخربيات وتقع إلى الشمال الشرقي من السيل الكبير^(٣).

(١) أ.د/ فوزي ساعاتي ص ١٩ مرجع سابق.

(٢) معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع - تأليف عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ ط ١ ص ٩.

(٣) د/ فهد بن صقر الروقي - محاذاة منطقة المحاني المكانية للمواقيت الشرعية - بدون ناشر - ١٤٤٠

وقد ذكر الإمام الرافعي في العزيز^(١) في شرح الوجيز أن الفقهاء اختلفوا في ذات عرق على وجهين: (أحدهما) أن توقيته مأخوذ من الاجتهاد لما روي عن طاووس أنه قال لم يوقف رسول الله ﷺ ذات عرق، ولم يكن أهل الشرق مسلمين حينئذ، وفي الصحيح (البخاري) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما فُتِحَ هذان المصران (لعله يقصد العراق) أتوا عمر رضى الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ، حدّ لأهل نجد قرنًا، وهو جَوْرٌ عن طريقنا (أي بعيد) وإنا إن أردنا قرْنًا شَقَّ علينا، قال: فانظروا حذوها من طريقكم فحدّ لهم ذات عرق" (أخرجه البخاري في باب ذات عرق لأهل العراق).

(الوجه الثاني) وإليه ذهب الأكثرون، أنه منصوص عليه، روي عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ وَقَّ لأهل المشرق ذات عرق^(٢) ثم قال الرافعي: ولا يبعد أن ينص عليه والقوم مشركون يومئذ إذا علم إسلامهم، ويحتمل أن النصوص لم تبلغ عمر رضى الله عنه والذين أتوا واجتهدوا فوافق اجتهدهم النص".

وعلى أية حال فإن ميقات ذات عرق يقع شمال شرق مكة المكرمة على بُعد حوالي ١٠٠ مائة كيلو متر^(٣) ويقال إنه على مسافة ٩٠ متر فقط.

وقد نقل النووي في المجموع عن الشافعي وسائر الأصحاب: أنه لو أحرم أهل المشرق من العقيق لكان أفضل^(٤)، ووادي العقيق من الأودية الكبيرة في الحجاز حيث يمتد من أعالي أودية الطائف مع السيل الصغير، ويسير متجهًا إلى الشمال ويمر على

^(١) العزيز في شرح الوجيز (الشرح الكبير) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي - تحقيق د/

نهاد صالح طوسون - من منشورات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ٢٠١٦م ج ٤ ص ٦٦٠.

^(٢) أخرجه أبو داود في باب المواقيت ج ٢ ص ٢٨٣ وأخرجه النسائي في ميقات أهل العراق ج ٥ ص ١٢٥.

^(٣) أ.د/ فوزي ساعاتي - ص ٢١ مرجع سابق.

^(٤) المجموع للنووي ج ٧ ص ١٢٨ مرجع سابق.

شرق ذات عرق ويبعد عنها قرابة عشرة كيلو مترات شرقاً، ثم ينحدر شمالاً ماراً ببركة البركة^(١)، ويعلل لأفضلية الإحرام من بطن العقيق بأنه أحوط لبعده عن ذات عرق بنحو عشرة كيلو مترات، كما يعلل له كذلك بورود بعض النصوص فيه فقد روي الترمذي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ وقت لأهل المشرق العقيق^(٢)، كما ذكر الترمذي كذلك أن أنس ابن مالك رضي الله عنه كان يحرم من العقيق.

رابعاً: ميقات قرن المنازل: (ميقات أهل نجد والطائف ومن مرّ بها من الجهات الشرقية والجنوبية)

وقرن المنازل مركب إضافي، أما المضاف وهو قرن بفتح القاف وإسكان الراء فهو كما جاء في القاموس اسم لجبل صغير، وأما المضاف إليه وهو المنازل فهو جمع المنزل، والمركب الإضافي في مجموعه اسم لمكان يعرف في الوقت الحاضر بقرية السيل الكبير وتقع إلى الشمال الشرقي من مكة المكرمة على بعد ٧٥ كيلو متراً من مكة، وتقع شمال مدينة الطائف على بعد ٤٠ كيلو متراً منها وترتفع فوق مستوى سطح البحر بنحو ١٢٠٠ متراً وهي في أعلى قمم جبال الطائف والهدا^(٣) وقرن المنازل كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم هي ميقات أهل النجدين (نجد الحجاز ونجد تهامة اليمن) وليست ميقاتاً لكل أهل اليمن، فإن اليمن تشمل نجدا وتهامة^(٤).

والقادم إلى مكة المكرمة من أهل نجد وأهل الطائف وأهل الجهات الشرقية والجنوبية من مكة المكرمة إما أن يقدم من طريق الطائف – السيل الكبير، فعليه أن

(١) د/ فهد الروقي – محاذاة منطقة المحاني المكانية للمواقيت الشرعية ص ٤٢ مرجع سابق.

(٢) سنن الترمذي ج ٣ ص ٣٤٧ حديث رقم قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) د/ بدر الدين يوسف محمد – المفهوم الجغرافي لمعني محاذات الميقات المكاني للحج – جامعة أم القرى – سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية ١٩٩١ ص ٤٠.

(٤) المجموع للنووي ج ٤ ص ١٢٧ مرجع سابق.

يحرم من ميقات قرن المنازل، وإما أن يقدم من طريق الهدا، وعليه أن يحرم من مسجد ميقات وادي محرم، ويقع وادي محرم شرق الهدا وغرب الطائف، وفي الجنوب من ميقات السيل الكبير (قرن المنازل) على مسافة ٣٣ كيلو متراً منه، وعلى بعد ٧٥ كيلو متراً عن مكة المكرمة عبر طريق الهدا^(١).

خامساً: ميقات يللم (السعدية)

يَلْمَلَم: بفتح الياء المثناة واللامين وسكون الميم الأولى، ويقال لها: أَلْمَلَم بالهمزة وهو الأصل وقلبت ياء تسهلاً لها، وحكى فيها: يرمرم براءيين بدل اللامين^(٢) هو وادي ممتد إلى البحر الأحمر لمسافة تصل إلى ٥٠ كيلو متراً، ويقع هذا الميقات الآن عند قرية تسمى (السعدية) وهي قرية من يللم تقع شمال مدينة الليث وإلى الجنوب الشرقي من الشعبية وإلى الجنوب من مكة المكرمة بمائة ١٠٠ كيلو متر وهي ميقات إحرام أهل اليمن والقادمين من جنوب المملكة العربية السعودية ومن شبه القارة الهندية ومن شرق آسيا^(٣).

ويوجد حالياً في قرية السعدية مسجد ميقات السعدية الذي أنشئ عام ١٩٨٤ م على مساحة ١٢٢٥ متر مربع، يستوعب قرابة ١٥٣٠ مصلياً في وقت واحد وإلى جواره منطقة خدمات ومرافق تبلغ مساحتها حوالي تسعة آلاف متر مربع عبارة عن دورات مياه ومواضع وغرف خاصة للاستحمام وسوق تجاري، ومكاتب للإرشاد والتوجيه الديني. أحكام المرور بالموافيت المكانية:

قال البهوتي في كشف القناع^(٤):

^(١) أ.د/ فوزي ساعاتي ص ٢٦ مرجع سابق.

^(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - المطبعة السلفية بالقاهرة ج ٣ ص ٤٥١.

^(٣) أ.د/ فوزي ساعاتي ص ٢٩ مرجع سابق.

^(٤) كشف القناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي ج ٢ ص ٢١٧، ص ٢١٨.

- ١ - لا يجوز أراد دخول مكة أو دخول الحرم أو أراد نسكاً تجاوز الميقات بغير إحرام.
- ٢ - هذه المواقيت لهن (أي لأهل كل ميقات) ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن يريد الحج والعمرة.
- ٣ - من كان دونهن فمهله (أي إحرامه وتلبيته) من أهله (أي من دويره أهله) وأهل مكة يهلون منها (أي لأداء فريضة الحج أما العمرة فمن أدنى الحل).
- ٤ - الأفضل أن يحرم من أول الميقات وهو الطرف الأبعد عن مكة احتياطاً.
- ٥ - من مرّ على غير ميقات بلده^(١) فإنه يحرم من الميقات الذي مرّ عليه لأنه صار ميقاته - من مشى في طريق لا تمر على ميقات فإنه يحاذي أقرب المواقيت إليه ويحرم منه.
- ٦ - من مشى في طريق فيه ميقتان فإنه يحرم من حذو أبعدهما عن مكة^(٢).

المواقيت المختلف عليها:

(١) العقيق: بفتح العين وكسر القاف ثم ياء فقفاف: واد عظيم يقع شرق مكة المكرمة وهو بحذاء ذات عرق شرقاً، ويبعد عنه ٢٨ كيلو متر ويبعد عن مكة ١٢٨ كيلو وقد روي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يحرم من العقيق، واستحسن الإمام الشافعي وابن المنذر وابن عبد البر والثوري الإحرام منه لأهل العراق لأنه أحوط من ذات عرق، وقيل: ذات عرق والعقيق شيء واحد.

^(١) مثل المصري يمر بذي الحليفة إن كان قادماً من المدينة أو بذات عرق إن قدم من العراق.

^(٢) مثل المصري القادم من المدينة برا على طريق المدينة مكة يمر على أبيار على وبمحاذاة الجحفة ورابع فإنه يحرم من أبيار على.

(٢) الرَبْدَة: براء مشددة مفتوحة وباء وذال مفتوحين، وهى على مسافة ١٧١ كيلو من المدينة شرقاً، وعلى مسافة ٣٨٦ كيلو إلى الشمال الشرقي من مكة وكان الحسن بن صالح وغيره يحرمون منها.

(٣) هل تعد جدّه ميقاتاً مكانياً: اخلف العملاء المتقدمون والمتأخرون فيها على أربعة أقوال:

١ - أن مدينة جدة التى تبعد نحو ٦٥ كيلو من مكة على خط مستقيم تعتبر ميقاتاً مكانياً مطلقاً.

٢ - أنها ميقات مكانى للقادمين جواً وبحراً دون القادمين براً.

٣ - أنها ليست ميقاتاً مطلقاً إلا لمن أنشأ الإحرام منها ممن لا يمرون على ميقات أو يحاذون ميقاتاً سواء كان من أهلها أو من غربها من أهل سواكن، وبه قال الشيخ عبد العزيز بن باز وابن عثيمين وصالح اللحيدان وعبدالله بن جبرين وغيرهم لأنها على مسافة أقرب ميقات مكانى من مكة.

٤ - القول الرابع: أنها ليست ميقاتاً مطلقاً إلا لمن أنشأ الإحرام منها سواء كان من أهلها أو من القادمين إليها فقط، دون المقيمين إلى جوارها، وبه قال أعضاء مجمع الفقه الإسلامى الدولى وهو ظاهر كلام ابن حجر كما نقله الإمام النووي في المجموع والبهوتي في الروض المربع^(١).

والراجع لدينا: أن جدة ليست ميقاتاً مكانياً للحج أو للعمرة إلا لمن أنشأ الإحرام منها من أهلها فقط، أما القادمين إليها من غير أهلها فيجب عليهم الإحرام عند محاذاتهم جواً أو بحراً أو براً لأحد المواقيت المكانية المحددة شرعاً من أي جهة قبل الوصول إليها، فإن لم يحاذوا ميقاتاً محدداً كان لهم إنشاء الإحرام من جدة، وليس لمن يقيم في مناطق المجاورة لجدة مثل سواكن أو غيرها إنشاء الإحرام من جدة.

^(١) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٤٥٧، والمجموع للنووي ج ٧ ص ٨٨ والروض المربع للبهوتي ج ١

ومن ليس في طريق سفره إلى مكة المكرمة ميقاتاً مكانياً محدداً، فعليه أن يحرم بالحج أو بالعمرة عند محاذاته (موازاته أو مقابلته أو مساواته) لأول ميقات مكاني يمر عليه في طريقه إن كان في طريقه أكثر من ميقات باعتباره أبعد ميقات عن الحرم وحتى لا يمر على ميقات بدون إحرام وتلزمه الفدية أو الرجوع إلى الميقات.

خصائص المواقيت المكانية:

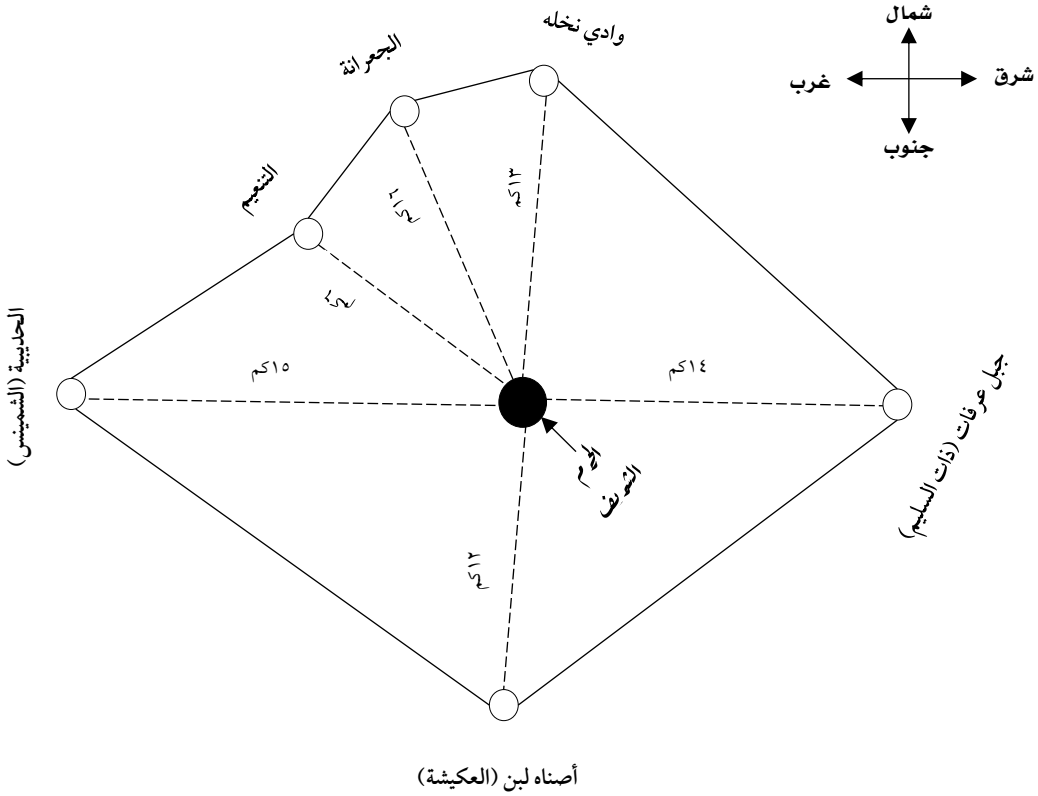
(١) المواقيت المكانية للحج والعمرة أماكن عظمها الشارع الإسلامي الحكيم لاذاتها وإنما لأجل أمرين هما: (الأول) إحاطتها بالحرم المكي الشريف من جهاته الأصلية وتنبية المار بها ممن يريد الحج أو العمرة إلى التجرد من عظمتهم الشخصية وكبريائه واستشعار عظمة البيت الحرام ورب البيت الوافد إليه.

(٢) ارتباط المواقيت المكانية بأعمال الحج والعمرة حيث يهّل ويحرم ويلبّي من عندها أو من محاذاتها يريد الحج أو العمرة بحجة أو بعمرة، فاكسب المكان شرفه ومكانته وحرمة بشرّف وحرمة الفريضة التي تبدأ أولى أعمالها من عنده، شأنها في ذلك شأن حرمة ومكانة المساجد التي تقام فيها فريضة الصلاة.

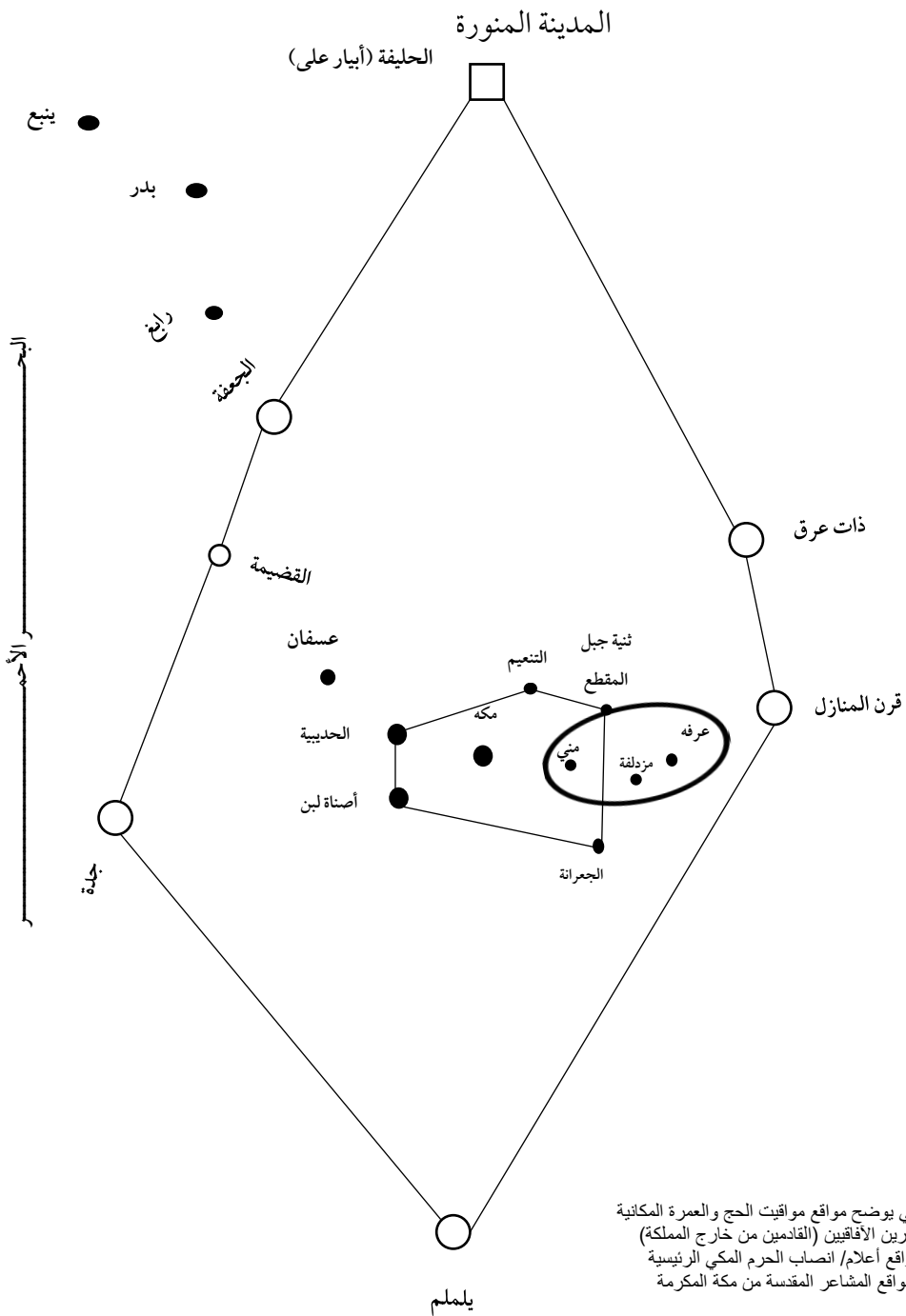
(٣) من المواقيت المكانية أو من محاذاتها يدخل يريد الحج أو العمرة في الدوائر الست الجغرافية للحرم المكي الشريف ويحظر عليه وحده بمجرد اهلاله بالحج أو بالعمرة صيد البر، جماع زوجته، عقد النكاح، تعصيد الأشجار والنباتات، لبس المخيط، حلق أو قص الشعر، مسّ الطيب، تقليد الأظافر، ويظل على إحرامه إلى أن يتحلل من حجه أو من عمرته.

(٤) تعتبر المسافة من المواقيت المكانية (ذو الحليفة، ذات عرق، قرن المنازل، يلملم، رابغ/ الجحفة) إلى حدود الحرم (أعلامه أو أنصابه) وهي (التنعيم، نخلة اليمانية بين مكة والطائف، أضنة لبن (العكيشة) والجعرانة، الحديبية وذات السليم (جبل عرفات) تعتبر هذه المسافة حرماً بالنسبة للمحرم بالحج أو بالعمرة وحده دون غيره، حيث يلزمه وحده فدية ارتكاب أي محظور من

محظورات الإحرام السابق ذكرها، أما بالنسبة لغير المحرم بالحج أو بالعمرة فإنها حِلّ له.



رسم كروكي تقريبي يوضح مواقع أعلام / أنصاب حدود الحرم المكي الشريف



المطلب الثاني

المعالم والمواقع الأثرية في دائرة الحرم المكي الشريف

وعلاقتها بفريضتي الحج والعمرة

نقصد بدائرة الحرم المكي الشريف جميع المساحات والأماكن الواقعة بين أعلام أو أنصاب الحرم وصولاً إلى الأسوار الحديدية المحيطة بساحات المسجد الحرام على اعتبار أن هذه الساحات معدة للصلاة وتوسعات ملحقة بالمسجد الحرام ولها نفس أحكام ما بداخل جُذُر (حوائط أو جدران) المسجد الحرام.

وما أكثر المعالم والمواقع الأثرية الموجودة بهذه الدائرة والتي يجب على المرشد السياحي في الحج والعمرة أن يكون على بينة ودراية بتاريخها ومواقعها وارتباطها بالحج والعمرة.

مكة المكرمة: (المكان والمكانة):

١- هي من المدن النادرة التي ذكر اسمها صراحة في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ٢٤ التفتح.

٢- وهي بشهادة القرآن بكة التي تقصم أعناق الجبابرة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ

وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية ٩٦ آل عمران.

٣- وهي أم القرى (سرة الأرض ووسط الدنيا) قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الآية ٩٢

الأنعام.

٤- وهي البلد الأمين (الذي فرض الشارع الحنيف على كافة المسلمين تأمينه) قال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝﴾ الآيات ٣-١ التين.

٥- وهي المعاد الذي وعد الله عز وجل نبيه بعد الهجرة بالعودة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۝﴾ الآية ٨٥ القصص.

٦- وهي أحب أرض الله إلى الله ورسوله قال ﷺ مخاطباً إياها عند خروجه منها مهاجراً إلى المدينة المنورة: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (١).

٧- وهي البلد الذي حرّمه الله عز وجل منذ بدء الخلق إلى يوم القيامة، قال ﷺ: "إن هذا البلد حرّمه الله، يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلي ولا يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها، ولا يختلى خلاه" (٢).

٨- وهي اسم للحرم كله (٣) واسم للمسجد الحرام في بعض آيات القرآن الكريم ومنها:

(١) سنن الترمذي ج ٩ ص ٤١٥ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، والحديث رواه ابن ماجة برقم ٣١٠٨.

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨ برقم وصحيح مسلم ج ٣ ص ٥٠١ برقم

(٣) القرى لقاصد أم القرى - أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري - مطابع الحلبي مصر - ١٩٧٠ ص

- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الآية ٢٧ من سورة الفتح.

- قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الآية ١ الإسراء، وكان قد أسرى برسول الله محمد من الحجر وقيل من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام، ولذا قال ابن كثير^(١) والقرطبي^(٢) إنه قد يطلق المسجد الحرام على مكة أو الحرم، بدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية ١٩٦ البقرة وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ ءَامِهِمْ هَذَا﴾ الآية ٢٨ التوبة.

المعالم والمواقع الأثرية التي شرع تعظيمها في مكة المكرمة:

اختص الله عز وجل مكة المكرمة بعدد من الأماكن والمقامات والمشاعر المقدسة وتوارثت نصوص القرآن والسنة بمشروعية تعظيمها وعبادة الله عندها^(٣). وهذه الأماكن

^(١) تفسير ابن كثير مطبعة المنار بالقاهرة ١٣٤٦ ج ٥ ص ١٠٦.

^(٢) والجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتاب العربي بيروت ج ٨ ص ١٠٤.

^(٣) د/ سعد بن علي الشهراني - تعظيم الأماكن في مكة المكرمة بين المشروع والممنوع بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية سبتمبر ٢٠٠٥ م المحور الأول الجزء الثاني ص ١٦.

إما مشاعر أي مواضع لمناسك الحج وأعماله، وإما معالم أمر المشرع بالقيام عندها وتعظيمها تعظيماً لبيت الله وبرهانا على تقوى القلوب، قال تعالى آمراً عباده المؤمنين بتعظيم مشاعر الحج وشعائره: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُوَ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الآية ٣٠ من سورة الحج. وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الآية ٣٢ الحج. ومن أهم هذه الأماكن:

(١) المسجد الحرام الذى جعله الله قبلة للناس في صلاتهم ومنسكاً من مناسك الحج والعمرة^(١) يستوي فيه المكي المقيم والوافد إليه من غير أهل مكة والذى يعاقب المولى عز وجل بالعذاب الأليم كل من يرد أو يتعمد فيه ارتكاب أثم أو معصية، قال تعالى: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية ٢٥ من سورة الحج والمسجد الحرام قد يطلق ويراد به ما حول الكعبة المشرفة من أماكن ومواضع معدة للصلاة وذلك أن لفظ مسجد على وزن مَفْعِل اسم لمكان السجود من كل موضع طاهر من الأرض، وأنه إذا وصف المسجد بالمسجد الحرام كان المراد به المسجد الذي بمكة المكرمة والذي أمرنا الله عز وجل بأن نولى وجوهنا شطره في الصلاة والذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ الآية ١٥٠ من سورة البقرة، والذي اختصه الله عز وجل بوضع البيت الحرام في وسطه، ووضع مقام إبراهيم في ناحية منه وفرض الطواف بالبيت

(١) أي موضعاً لأداء أعمال الحج والعمرة.

الحرام في عرصته وساحته، ونبع بئر زمزم في قاعه. وسوف يأتي إن شاء الله مزيد من التفصيل لهذه الخصائص وغيرها عند الحديث عن دائرة المسجد الحرام ضمن الدوائر الست المتداخلة للحرم المكي الشريف.

(٢) وإلى جوار المسجد الحرام كأهم موقع أثري ديني يقصده الحاج أو المعتمر لأداء ركن الحج الرئيس وهو طواف الركن (طواف الإفاضة) وكذا ركن الطواف في العمرة، وأداء ما تيسر له من الصلوات المفروضة والناقله، يوجد في دائرة الحرم المكي الشريف المحصورة بين أعلام/ أنصاب الحرم وبين المسجد الحرام بالتحديد السابق له، توجد عدة معالم ومواقع أثرية ودينية مرتبطة بأعمال الحج والعمرة ومشروع زيارتها والوقوف عندها وعبادة الله عز وجل إلى جوارها (بالذكر والدعاء والصلاة) كما توجد مواقع أثرية ودينية أخرى لم يثبت في شأن زيارتها أو عدم زيارتها دليل قاطع بالنسبة (الاستحباب) أو الكراهية ومن أبرز هذين النوعين من المواقع، التي يجدر للحجاج والمعتمرين أن يكونوا على علم بها المواقع الأثرية التالية:

١ - مشعر عرفات وفي داخله جبل الرحمة ومسجد نمرة^(١) وطريق المأزمين وطريق ضب.

٢ - مشعر مزدلفة وفي داخله المشعر الحرام.

٣ - وادي محسر بين مني ومزدلفة على حدها وليس منها والذي حسر فيه فيل ابراهة الحبشى وهلك.

^(١) الروض المربع للبهوتي ج ٥ ص ٢٥٥ والمجموع للنووي ج ٨ ص ١١٢.

- ٤- مشعر منى وفي داخله جمرة العقبة والجمرة الوسطى والصغرى ومسجد البعثة وممر الكبش ومسجد الخيف الذى كان يعرف بمسجد المعيشومة ومسجد المنحر ومسجد الكوثر.
- ٥- جبل النور وعلى قمته غار حراء.
- ٦- مسجد الإجابة.
- ٧- مسجد الجن.
- ٨- مسجد أبي بكر الصديق.
- ٩- جبل ثور وعلى قمته غار ثور.
- ١٠- جبل الأخشب الكبير والأخشب الصغير وجبل الأحذب.
- ١١- مقبرة المعلاة وبداخلها قبر أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد.
- ١٢- جبل الصفا (أنف أبي قبيس) وجبل المروة وجبل عمر وجبل الكعبة وجبل أبي قبيس.

وفيما يلي تعريف موجز بأهم هذه المعالم والمواقع الأثرية:
أولاً: المشاعر المقدسة:

وهى الأماكن الدينية والتاريخية التى تؤدى فيها شعائر الحج (مناسكه) وهى المعالم الظاهرة التى ندب الشرع أداء شعائر الحج وعبادة الله فيها، وهى مواضع المناسك المباركة التى شرفها الله عز وجل وفضلها على غيرها من مواضع العبادة وهى الأماكن التى يرتبط تاريخها بتاريخ البيت الحرام وتاريخ مكة المكرمة وتاريخ فريضة الحج وتاريخ بناء الكعبة المشرفة، والتى ينبغى على كل حاج أو معتمر، وكافة المسلمين أن

يكونوا على بصيرة ودراية تامتين بتاريخها ومكانتها. وتضمن المشاعر المقدسة ثلاثة مشاعر رئيسية:

(١) مشعر عرفات: وهو أهم المشاعر، حيث يؤدي فيه ركن الحج الأعظم (الوقوف بعرفة) وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ الآية ١٩٨ البقرة، وفيه قال الرسول ﷺ: "الحج عرفة، فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك".

ووقت الوقوف بعرفة من زوال شمس يوم التاسع من ذي الحجة (وقت الظهر) إلى طلوع فجر يوم العاشر (يوم النحر) وذلك عند جمهور الفقهاء. وقد قيل: إنما سمي هذا المشعر بعرفات لأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام إلى الخليل إبراهيم عليه السلام فحجَّ به، حتى إذا أتى عرفة قال: عرفت، وقيل: إنما سميت عرفة لأن جبريل كان يرى إبراهيم المناسك فيقول: عرفتُ عرفتُ فسميت عرفات، وقيل: إنما سميت عرفات لأن آدم عليه السلام وحواء، لما أهبطا من الجنة تعارفا بعرفات^(١) وقيل إنما سميت عرفات لأن الله طيَّبها أي عرَّفها للحجيج، وقيل نسبة إلى الجبال التي فيها فإن الجبال وكل عال ناتئ من الأرض فهو عرف، وقيل: لأن الناس يعترفون فيها أمام الله بذنوبهم ويسألوه غفرانها.

^(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٨٢ - وأخبار مكة ج ٥ ص ٩ وتفسير بن كثير ج ١ ص ٣٥١.

ولعرفات تسميات متعددة منها: المشعر الحلال، والمشعر الأقصى والآل
على وزن هلال.

وعرفة وعرفات: أسم لموضع واحد لأن عرفات اسم جمع لا واحد له من لفظه والراجح وقوع مشعر عرفات في الحلّ خارج حدود الحرم وتقع شرق مكة وبينها وبين مكة نحو عشرين كيلو متر، وحدّ عرفة من الجبل المشرف على عُرنَة إلى الجبال المقابلة له، ومن الجهة الشمالية الشرقية جبل سعد ومن الجهة الغربية الأعلام الواقعة بين الموقف وبين وادي عرنة ومنتهى مسجد إبراهيم القديم من الجهة الشرقية وإجمالي مساحة عرفة حوالي ١٠, ٥ كيلو متر مربع تقريباً.

بطن عُرنة: عُرنة بضم العين وفتح الراء ثم نون فهاء هو: بطن الوادي من عرفة، وليس من الحرم ولا من عرفة وإنما هو برزخ بين الحل والحرم، وذلك حيث اقتضت مشيئة الله أن يكون بطن عرنة بين مشعر عرفة ومشعر مزدلفة، وأن يكون بين مشعر مزدلفة ومشعر منى وادي محسّر. وعليه: فإن الحاج لو وقف بنية الحج في بطن عرنة ودفع منه، فحجه غير صحيح عند جمهور الفقهاء، لأنه ليس من عرفة، وقد نهى النبي ﷺ عن الوقوف في بطن عرنة لأنه خارج عرفة، وفي قول ضعيف إن بطن عرنة من عرفة وأن الوقوف فيه وقوف بعرفة^(١).

^(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢ ص ٤١٤ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام - ج ٢٦ ص ١٦١.

جبل الرحمة: ويقال له جبل عرفات ويقال له إلال، وعامة الحجاج يتعمدون صعوده، ولكن ذلك لم يرد فيه أمر به ولا نهى عنه وإن كان رسول الله ﷺ قد وقف تحته (إلى جواره) عند الصخرات وقال وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف. المأزمان: تشية مأزم وهو الطريق الضيق بين جبلين، ويوجد في المشاعر مأزمان أحدهما بين جمع (مزدلفة) وعرفة والثاني بين مكة ومنى والمأزم أو الطريق الضيق المؤدى إلى عرفة، لم يسلكه رسول الله ﷺ في حجة الوداع وإنما سلك طريقاً آخر هو طريق ضَبّ، أما في أفاضته فقد سلك طريق المأزمين.

والمأزمان: جبلان بين عرفات والمزدلفة بينهما طريق.

طريق ضَبّ: ضَبّ بفتح الضاد وتشديد الباء اسم للجبل الذى حذاء مسجد الخيف، ويطلق على الطريق المختصرة الموصل بين المزدلفة وعرفة وقد سلكه رسول الله ﷺ في مسيره من منى إلى عرفة وخرج عن طريق المأزمين^(١).

مسجد نمرة: ويقال له: مسجد عرفات ومسجد إبراهيم عليه السلام ومسجد عُرنة وبعد توسعة المسجد فإن ثلثه الأمامي تقريباً خارج حدود عرفة في الجهة الغربية أما مؤخرة المسجد (ثلاثي المسجد) فهي داخل حدود عرفة، وهو من أهم المعالم في مشعر عرفات وبه يصلى الحجاج الظهر والعصر جمعاً وقصراً يوم عرفة اقتداء برسول الله ﷺ ويستمعون فيه إلى خطبة عرفات، وقد بنى في الموضع الذى خطب فيه رسول الله ﷺ خطبة الوداع، ويبلغ اتساعه الآن نحو

^(١) ولید بن صالح الحجاج - الموسوعة الميسرة لقاصد مكة المكرمة دار الصمعي للنشر بالرياض

١٩٠ ص ٢٠٠٩ / ١٤٣٠ .

٢٧ ألف متر مربع تقريباً ويتسع لنحو ربع مليون حاج، ويقع في الطرف الشمالي من عرفة على شفا الضفة الشرقية لوادي عُرنة وعلى مسافة ١٥ كم من مكة، و ٧ كم من المشعر الحرام بمزدلفة و ١١ كم عن مسجد الخيف بمني.

(٢) مشعر مزدلفة: المزدلفة بضم الميم وسكون الزاي ودال مفتوحة ولام مكسورة

وفاء مفتوحة وتاء مربوطة، وردت في تسميتها عدة أقوال منها:

- ١ - أنها مأخوذة من الازدلاف وهو الاجتماع والاقتراب.
- ٢ - أنها مأخوذة من ازدلاف الناس من منى بعد الإفاضة ومنها إلى الحرم.
- ٣ - وقيل لازدلاف آدم وحواء بها أي لاجتماعها ولذلك سميت جَمْعًا.
- ٤ - وقيل لنزول الناس بها في زلف الليل.

ومزدلفة هي مكان مبيت الحجاج بعد نفرتهم من عرفة ومكان صلوات المغرب والعشاء والصبح من ليلة يوم النحر.

وهي الموضع الذي يؤمر الحاج بالنزول والمبيت فيه بعد الإفاضة من عرفة ويقع بين مأزمي عرفة ووادي محسر.

ويقال للمزدلفة المشعر الحرام وذلك أنها داخل حدود الحرم خلافاً لعرفة فإنها مشعر حلال لأنها خارج حدود الحرم، كما تسمى مزدلفة (جَمْعًا)،

لاجتماع الحجاج فيها، ويوجد في المزدلفة مكان خاص يسمى المشعر الحرام الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿فَإْذْ كُتِبَ عَلَيْهِ وَلَهُ الْوَيْلُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ يُعَذِّبُهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

والذي نزل عنده رسول الله ﷺ وبات إلى جواره وصلى صبح يوم النحر عنده وهلل وكبر ودعا الله عز وجل. وقد أقيم في هذا الموضع مسجد منذ بدايات العصر العباسي الأول تم تجديده على مر التاريخ عدة مرات، كان

آخرها في عهد المغفور له بأذن الله تعالى الملك عبدالله بن عبد العزيز حيث حظي باهتمام بالغ في عمارته وتوسعته وتجهيزه، وتقع المزدلفة بين جبل ثبير الأنصع (الأحذب) من جهة الشمال وجبل ذات السليم وذو مراخ من جهة الجنوب، وجبل المضبييع ووادي محسّر من جهة الغرب، وريع المرار ورب الغزالة من جهة الشرق.

وادي مُحَسَّر: مُحَسَّر بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة وراء ساكنة مسيل ماء فاصل بين مزدلفة ومنى وهو بطن واد عظيم من منى ويقال في سبب تسميته بهذا الاسم لأن فيل ابرهة الذي أتى به لهدم الكعبة المشرفة قد أعْيِيَ فيه وهلك وانقطع عن الذهاب إلى مكة^(١) قال ابن القيم: ومحسّر برزخ بين منى ومزدلفة لا من هذه ولا من تلك، ومحسّر من الحرم وليس بمشعر حرام، ويسميه أهل مكة وادي النار، لأن رجلاً صاد فيه صيداً فنزلت نار فأحرقتة.

ويسن الإسراع في السير عند المرور فيه عند تيسر الإسراع في السير وذلك لأن الله عز وجل أهلك فيه جيش ابرهة ومن السنة عدم التباطؤ في السير عند المرور بأمّاكن العذاب وقد ورد في الأثر: "ارفعوا عن بطن عرنة وارفعوا عن بطن محسّر".

^(١) زاد المعاد - لابن القيم ج ٢ ص ٢٥٥.

المشعر الحرام: (قُزَح) ويسمى (الميقدة)

وهو اسم لجبل معروف في مزدلفة سمي بذلك لأن العرب كانت تُشعر عنده هداياهم (الإشعار: جرح سنام الأبل وظهر البقر للدلالة على أنها هدى للحرم) ويرى شيخ الإسلام أن مزدلفة كلها مشعر حرام وأن المشعر الحرام ليس موضعاً مخصوصاً بها، ومن السنة الدعاء عند المشعر الحرام عند تيسير الوقوف عنده وإلا ففي أي موضع من مزدلفة.

ويجزئ الحاج الوقوف في أي موضع من مزدلفة ولا يجب عليه الصعود فوق جبل المشعر الحرام لقوله ﷺ "جَمَعَ كلها موقف).

وفي الوقت الحاضر تمت إزالة جبل المشعر الحرام أو قُزَح وبني عليه مسجد المشعر الحرام الذي يبعد عن مسجد الخيف بنحو خمسة كيلومترات وعن مسجد نمرة بنحو سبعة كيلو مترات.

نَمْرَة: بفتح النون وكسر الميم وفتح الراء ثم تاء مربوطة اسم لقرية كانت قرب عرفة من جهة اليمين وليست من عرفة عند أكثر أهل العلم خلافاً للإمام مالك الذي عدّها من عرفة، كما أنها ليست من الحرم. ومن السنة النزول بنمرة قبل الوصول إلى عرفة لنزول النبي بها^(٣).

(٣) مشعر منى:

منى: بكسر الميم وفتح النون والقصر هي: الموضع الذي نحر فيه خليل الله إبراهيم الذبح العظيم الذي فدى الله به إسماعيل ولد إبراهيم، وهى الموضع

^(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٥٢١.

الذى ترمى فيه الجمرات الثلاث والذى يبىيت فيه الحجاج ليلة الثامن من ذي الحجة وليالي أيام التشريق الثلاث، والذى ينفرون إليه من مزدلفة.

وقد قيل في سبب تسمية هذا الموضع (بمنى) أقوال كثيرة منها:

١ - لكثرة رءوس الماشية المخصصة للهدى والفدية والأضاحي التي تمنى

أي تنحر فيها ويراق دماؤها.

٢ - أنها المكان الذي تمنى آدم فيه العودة إلى الجنة بعد أن أهبط منها.

٣ - أنه المكان الذى قدّر الله عز وجل جعله مشعر حراماً.

٤ - أنها مكان اجتماع الحجيج ومبيتهم فيه^(١).

وتقع منى ما بين جمرة العقبة ووادي محسّر وتقدر هذه المسافة بنحو ٣٥٢٨

متر طولاً، ونحو ٦٣٧ متراً عرضاً، وقد اختلف في العقبة هل هي من منى أو

ليست منها ! أما وادي محسّر فليس من منى.

وتتميز منى بكونها سهلاً منبسطاً شبه مستوي فيه بعض التلال تبلغ مساحته

نحو أربعة ملايين متر مربع، إضافة إلى سفوح الجبال الداخلة ضمن حدودها

الشرعية التي تبلغ مساحتها نحو مليوناً متر مربع إضافياً.

أهم المواقع الأثرية الموجودة بمشعر منى:

(١) مسجد الخيف : الخيف بفتح الخاء وسكون الياء قال صاحب القاموس هو:

الناحية، وهو: المكان المرتفع عن مسيل الماء في سفح الجبل، ومسجد

الخيف هو مسجد منى الواقع على السفح الشمالي لجبل الصابح، وقد قيل إنه

^(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة م.ن.ى وراجع: تاريخ الأزرق ج ٢ ص ٥٧٦.

بني في العصر النبوي وقيل بل بناه الخليفة العباسي (المنصور) وقيل بناه المتوكل العباسي سنة ٢٥٦هـ في مكان صلاة النبي وخطبته في منى . ويعتبر مسجد الخيف بعد التوسعة السعودية له ثالث أكبر مسجد بمنطقة مكة المكرمة بعد المسجد الحرام ومسجد نمرة.

(٢) مسجد المنحر: وهو موقع أثري صغير مندثر كان يقع بين الجمرتين الصغرى والوسطى ويقال أن رسول الله ﷺ صلى في مكانه ونحر هديه فيه .

(٣) مسجد الكوثر: وقد كان مسجداً صغيراً في وسط منى اندثر مكانه حالياً وقد نزلت فيه سور الكوثر على النبي ﷺ .

(٤) مسجد الكبش: وكان يقع أسفل جبل ثبير مما يلي منى على يسار الذهاب إلى عرفة وقد أندثر في الوقت الحاضر ويقال إن خليل الله إبراهيم نحر عنده الكبش الذي فدى الله عز وجل به إسماعيل ولد إبراهيم، وموقعه شمال جمرة العقبة على مسافة ٣٠٠ متر منها وموقعه الآن يعرف بمجرّ الكبش .

(٥) مسجد البيعة: وهو مسجد صغير في منعطف بين الجبال القريبة من جمرة العقبة، التقى في موقعه رسول الله ﷺ مع سبعين رجلاً، وامرأتين من أهل يثرب وبايعهم على الإسلام والهجرة .

(٦) الجمرات الثلاث (الصغرى والوسطى والكبرى):

الجمرة اسم للحصاة واسم للمكان (الموضع) الذي ترمي فيه الحصاة واسم للمكان الذي يجتمع الناس عنده لرمي الجمرات، ورمي الجمرات هو: قذفها

بطريقة مخصوصة في زمان مخصوص ومكان مخصوص وبأعداد مخصوصة^(١).

والجمرات الثلاث هي:

(أ) الجمرة الصغرى: التي تلى مسجد منى (الخيـف) والتي يبدأ منها الرمي في أيام التشريق الثلاث.

(ب) الجمرة الوسطى: وهي التي تلى الجمرة الصغرى للمتوجه إلى جمرة العقبة وتقدر المسافة بينها وبين الجمرة الصغرى بنحو ١٥٧ متراً تقريباً.

والمسافة بين الجمرة الوسطى والكبرى بنحو ٢٧٥ متراً تقريباً. والمسافة بين مواقع الجمرات تحديدية وتوقيفية على الشارع الحكيم وذلك خلافاً للأحواض والشواخص التي تقام حول أو وسط مواقع الجمرات فإنها أمور اجتهدية متغيرة بما يناسب كل زمان. وتعتبر جمرة العقبة وهي الجمرة الكبرى حداً لمنى من جهة مكة، وإلى عهد قريب كان حوضها مبنياً من الجهة الجنوبية الغربية وذلك لملاصقتها للجبل من جهتها الشمالية الشرقية. وهي تمتاز بما يلي:

١ - اختصاصها برمي يوم النحر حيث تعد أحد أعمال يوم النحر الثلاثة التي يجوز للحاج بعد رميها وحلق أو تقصير شعر رأسه التحلل الأصغر من إحرامه بخلع ملابس الإحرام ولبس المخيط، والتي

^(١) بدائع الصنائع للكاساني ج ٣ ص ١٢٠.

يجوز للحاج بعد رميها وبعد الحلق أو التقصير وبعد طواف الإفاضة أو طواف الركن بالبيت الحرام التحلل الأكبر من إحرامه وأن يحل له كل ما كان محظوراً عليه حال إحرامه.

٢- اشتراكها في الرمي في أيام التشريق الثلاث بعد يوم النحر مع الجمرتين الأخريين.

٣- لا يقف عندها الحاج لغرض الدعاء بعد رميها بل ينصرف مباشرة بخلاف الجمرتين الصغرى والوسطى فالسنة أن يقف عندهما للدعاء.

٤- قطع (انتهاء) التلبية عند الشروع في رميها يوم النحر.

والعقبة: اسم لموضع بين منى ومكة المكرمة على مسافة نحو ٧ كيلو مترات من المسجد الحرام، وهو من أقرب المواضع الى مكة وعنده حدثت بيعة العقبة الأولى سنة ١٢ من البعثة، وبيعة العقبة الثانية سنة ١٣ هـ في شعب تحت شجرة تقع عند سفح جبل ثبير قبل جمرة العقبة الكبرى بحوالي ٣٠٠ متر، وفي هذا الموضع أقيم مسجد البيعة.

أهم المواقع والمعالم الأثرية الواقعة داخل مدينة مكة المكرمة:

(١) مسجد الجن: وهو المسجد المقام في المكان الذي سمع فيه الجن القرآن الكريم من رسول الله ﷺ واجتمعوا به وآمنوا برسالته وبايعوه كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] وقد سمي هذا المسجد بمسجد الجن لمبايعة الجن

لرسول الله ﷺ في هذا المكان ويقع بأعلى مكة شمال المسجد الحرام على يمين النازل من الحجون إلى المسجد الحرام إلى جوار مقبرة المعلاة.

(٢) مقبرة المعلاة: بفتح الميم وإسكان العين، تقع أعلى مكة مستقبلة وجه الكعبة بشكل مستقيم جهة شرقي المسجد الحرام وشمال الحجون على يسار الذهاب إلى منى وهي الآن مقبرتان بينهما طريق وجسر ويربط بينهما نفق أسفل الطريق والجسر ويوجد بها قبول الكثير من الصحابة وفي مقدمتهم أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كما يوجد بها مغسلة كبيرة للموتى وإدارة لاستخراج وتراخيص الدفن فيها وقد ورد في فضلها جملة من الآثار منها: ما رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "نعم المقبرة هي" وما روي في الأثر "من قبور في مكة جاء أمناء يوم القيامة ومن قبر بالمدينة كنت عليه شهيداً وله شافعاً".

(٣) جبل النور:

أشهر جبال مكة المكرمة يقع في الشمال الشرقي من المسجد الحرام وإلى الشرق من مكة في منطقة حي الشرائع على يسار السالك إلى مشعر منى ويسمي جبل حراء نسبة إلى غار حراء الواقع على قمته وارتفاعه نحو ٦٢١ متراً عن سطح البحر والصعود إلى قمته شاق جداً، ويقع على قمته غار حراء الذي كان رسول الله ﷺ قبل البعثة يتحنّث (يتعبد) ويتفكر ويتدبر وينظر إلى الكعبة المشرفة منه، وفي هذا الغار بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ حاملاً معه صدر سورة العلق ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ أي أن نور السماء امتد إلى الأرض من قمة هذا الجبل.

وغار حراء بكسر الحاء وفتح الراء المخففتين والمدّ عبارة عن فجوة أعلى الجبل بابها باتجاه الشمال وطوله نحو ثلاثة أمتار وعرضه حوالى متر ونصف، وارتفاعه نحو المترين، والوصول إليه يتم عبر النزول عن طريق عتبات. ويتم الصعود إلى الجبل من جهته الجنوبية ويمكن للصاعد الاستراحة في منتصف الجبل جهة الشمال منه. ويتميز هذا الغار بما يلي:

- ١- نزول الوحي على رسول الله فيه.
- ٢- نزول أول آية من القرآن الكريم فيه في شهر رمضان وفي ليلة القدر.
- ٣- تفجر الماء من الجبل من قبل جبريل لتعليم رسول الله فرائض الوضوء.
- ٤- توجه الداخل الى الغار مباشرة إلى الكعبة المشرفة وإشراف من بداخله على الكعبة.
- ٥- إشراف الغار على جميع جبال مكة وأباطحها وأحيائها.
- ٦- صعوبة الصعود إليه على القدمين.
- ٧- بعده عن المسجد الحرام بنحو عشرة كيلو مترات.
- ٨- عدم النهي الصريح عن الصعود إليه أو الصلاة والدعاء فيه أو عنده.

(٤) جبل ثور وغار ثور:

هو جبل أسفل مكة، وثور بفتح الثاء وسكون الواو والراء المهملة ويقال له ثور أطحل وثور بن عبد مناة، يقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام على مسافة نحو أربعة كيلو مترات في منطقة تسمى حي الهجرة، ويبلغ ارتفاعه نحو ٧٨٤ متراً فوق مستوي سطح البحر، وفي شمال الجبل يقع غار ثور الذى أختبأ

رسول الله وصاحبه أبو بكر فيه لمدة ثلاث ليال في بدء هجرته من مكة إلى المدينة.

وغار ثور عبارة عن صخرة مجوفة أو فجوة ارتفاعها نحو متراً واحداً وربع المتر وطولها نحو ثلاثة أمتار ونصف المتر، ويتميز هذا الغار بالخصائص التالية:

- ١ - صعوبة الصعود إليه.
 - ٢ - إشرافه على كل ما حوله من الجبال والأحياء السكنية.
 - ٣ - نزول الوحي فيه بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
 - ٤ - نسيج العنكبوت بخيوطه على بابه بعد اختباء الرسول وصاحبه داخله.
 - ٥ - نبت شجرة على فمه بعد اختباء الرسول فيه يقال لها: الراءة والعشار.
 - ٦ - بناء الحمام لعشها وبيضها وفرخها على فمه وقت اختباء الرسول فيه.
 - ٧ - ستر الملائكة بأجنحتها لرسول الله وصاحبه عن أعين الكفار.
 - ٨ - مبيت الرسول وصاحبه بداخله ثلاث ليال.
 - ٩ - دعاء الرسول على الكفار وهو بداخله بقوله: اللهم أعم أبصارهم.
 - ١٠ - قول الرسول لصاحبه وهما داخل الغار: "ما ظنك بأثنين الله ثالثهما".
 - ١١ - يقال إن قابيل ولد آدم قتل أخاه هابيل إلى جواره.
- (٥) وإلى جوار هذه المواقع والمعالم الأثرية يوجد في هذه الدائرة مواقع أخرى منها:

أ) جبل قُعَيْقَعَان: وهو جبل بمكة وجهه إلى أبي قبيس ويعتبر جبل المروة جزءاً منه ويشرف من جانبه الشرقي على ثنية كداء ومقبرة المعلاة.

ب) جبل أبي قُبَيْس وهو جبل مشرف على المسجد الحرام على الصفا من جهة الشرق.

ج) الأخشبان: وأخشبي مكة هما جبل قعيقعان وأبي قبيس وهما غير أخشبي منى (القابل والصباح) وغير أخشبي مزدلفة (الكبير والصغير) والأخشب يطلق على كل جبل خشن غليظ صعب المرتقي.

د) كَدَاء، وكُدَى، وكُدَى: حيث يوجد بمكة ثلاث كدايا وهي:

كَدَاء بفتح الكاف والمدّ وهي الثنية العليا التي يستحب للمحرم دخول مكة منها (والثنية: طريق عال بين جبلين) والثنية العليا وتسمى الآن جبل السليمانية وهي التي يهبط منها إلى مقبرة المعلاة التي عند البطحاء ومنها ينحدر إلى المقابر وإلى المحصّب ويقال لها الحجون.

أما (كُدَى) بضم الكاف والقصر وتنوين الدال، فهي الثنية التي يستحب الخروج من مكة منها وهي مما يلي باب العمرة وتسمى الثنية السفلى، وأما كُدَى بضم الكاف وتشديد الياء فهي موضع بأسفل مكة في طريق الخارج إلى اليمن.

هـ) ذو طُوى: وهو واد من أودية مكة ويسمي الآن بئر طوى (جرول) وقد استحب الأئمة الأربعة للمحرم الغسل بذي طوى، وقد بات رسول الله ﷺ به واغتسل من ماء بئرته وصلى ثم دخل مكة.

و) الْحَجُّونُ: بفتح الحاء وضم الجيم: الجبل المشرف على المحصّب وعنده مقبرة المعلاة على يسار الداخل إلى مكة.

ز) الْمُحَصَّب: بضم الميم وفتح الحاء والصاد المشددة مأخوذ من الحصباء وهي صغار الحجارة ويقال: إن المحصب والحصباء والأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة اسم لشيء واحد ويقع المحصّب بين جبل السليمانية الذي عند مقابر المعلاة والجبل الذي يقابله وسمي المحصب لكثرة الحصباء فيه.

الأحكام الشرعية المتعلقة بدائرة الحرم:

قدمنا أن الحرم بفتح الحاء والراء يأتي لغة بمعنى الحرام أي الممنوع الذي لا يحل انتهاكه أو ارتكابه. وعليه: فإن البلد الحرام هي البلد الذي لا يحل ارتكاب المحرمات فيها وانتهاك حرمة، ووجه تسمية مكة المكرمة بالحرم والبلد الحرام هو أن الله سبحانه وتعالى حرّم فيها ارتكاب كثيراً من الأعمال والأفعال التي ليست بمحرمة في غيرها من الأماكن والبلدان.

وقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون لمكة المكرمة حدود معلومة على أطرافها للدلالة على أن ما بداخل هذه الحدود يعد حرماً، أما ما يقع خارجها فهو حلّ وذلك حتي يمكن إلزام من بداخل هذه الحدود بالأحكام الخاصة بالحرم والتي من أهمها:

- ١- مضاعفة الحسنات والسيئات داخل حدود الحرم.
- ٢- عدم جواز دخول الكفار إلى الحرم وتحريم دفن المشركين في أرضه.
- ٣- التحريم المطلق لصيد الحرم وفرض الجزاء على فعله.

- ٤- التحريم المطلق للقتال في الحرم وسفك الدماء وحمل السلاح فيه.
 - ٥- تغليب دية الجناية في الحرم.
 - ٦- انفراد لقطته بأحكام خاصة.
 - ٧- مشروعية قصده بالزيارة وشد الرحال إليه ووجوب الوفاء بنذر قصده.
 - ٨- تحريم إخراج حجارته وترابه إلى الحل.
 - ٩- اختصاصه بذبح هدايا الكعبة داخله.
 - ١٠- عدم جواز إحرام المقيم بداخل الحرم بالحج من خارجه.
- وهذه الأحكام العشرة يستوى في الخضوع لها المحرم بالحج أو بالعمرة والمقيم غير المحرم بأي من النسكين، وهي إنما شرعت تعظيماً للمكان المحيط ببيت الله الحرام ومن المعلوم أن هناك أحكاماً خاصة بالمحرم بأحد النسكين (الحج والعمرة) لا يخضع لها غير المحرم ومن أهمها:
- ١- عقد النكاح أثناء الإحرام.
 - ٢- الجماع بالنسبة للرجل والمرأة على السواء.
 - ٣- لبس المخيط وحلق الشعر وتقليم الظفر.
- وفيما يلي شرحاً موجزاً للأحكام العامة.

أولاً: مضاعفة الحسنات والسيئات داخل حدود الحرم:

روي الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام^(١).

وأخرج الإمام أحمد وصححه ابن حبان من طريق عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا.

وفي ابن ماجه من حديث جابر مرفوعاً: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه".

ما ترشد إليه هذه الأحاديث:

١ - أن الاستثناء الوارد فيها (المسجد الحرام) دليل على تفضيل المسجد الحرام على سائر المساجد.

٢ - أن مجموع هذه الأحاديث دليل على تفضيل مكة، لأن الأمانة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون العبادة فيها أقل ثواباً.

٣ - أن الصلاة المذكورة في هذه الأحاديث غير قاصرة فقط على الفرائض المكتوبة وإنما تشمل النوافل كذلك.

^(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - الدار العالمية للنشر بالقاهرة ٢٠١٥ -

مجلد ٣ ص ٥٧٩ حديث رقم ١١٩٠.

- ٤ - أن التضعيف المذكور يتعلق (يرجع) إلى الثواب فقط، ولا يتعدى إلى الأجزاء (البذل) فلو كان عليه ألف صلاة فائتة، فصلى في المسجد الحرام صلاة واحدة لم تجزؤه إلا عن واحدة ولا تسقط عنه الألف صلاة الفائتة، فإن زمن ما فاتته من الصلاة يبلغ خمسا وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة.
- ٥ - أن هذا التضعيف في الثواب لا ينفي أو يتعارض مع التضعيف الثابت في صلاة الجماعة، فإنها تزيد عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.
- ٦ - أن التضعيف غير قاصر على المسجد الحرام وحده بل يعم حرم مكة بأكمله فإن حرم مكة كمسجدها في مضاعفة الثواب وذلك على أرجح الأقوال عند العلماء.

أقوال العلماء في المراد بالمسجد الحرام الذي يضاعف فيه ثواب الصلاة:
نقل صاحب الموسوعة الميسرة لقاصد مكة المكرمة الشيخ وليد بن صالح الحجاج^(١)
خمسة أقوال في هذا الشأن وهي:

- ١ - أن المسجد الحرام يراد به الكعبة وهو اختيار بعض المتأخرين من الشافعية هو أبعداها.
- ٢ - أنه المسجد الذي حول الكعبة، وهو قول الحنابلة وأحد قولي النووي، قال النووي (في المجموع ج ٣ ص ١٨٩ والإيضاح ص ٤٣٠) الغالب أن المسجد الحرام يراد به المسجد حول الكعبة، واختاره ابن عثيمين.
- ٣ - أنه يراد به مكة كلها.

^(١) وليد بن صالح الحجاج - الموسوعة الميسرة - دار الصميعي للنشر بالرياض ١٤٣٠ ص ٢٠٩.

٤ - أنه الحرم كله وهو مروى عن ابن عباس وعطاء وقتادة ومجاهد وهو قول الحنفية، وقال به مالك والشافعي وجزم به الماوردي واختاره النووي وابن تيمية وابن القيم والسعدي وابن باز رحمهم الله.
الخامس: أنه جميع الحرم وعرفة وهو قول ابن حزم.

والراجع لدينا: أن مضاعفة الثواب على الصلاة تعم حدود الحرم المكي كله بداية من أعلام/ أنصاب الحرم المحيطة ونهاية بجدران الكعبة المشرفة، ولا تقتصر على المساحة الميمنة داخل جدران المسجد الحرام، وذلك لما يأتي:

١ - أنه لا حرج على فضل الله عز وجل فإن المكان كله قد شرفه الله بفضله واختصه بوجود بيته الحرام في بؤرته، واختصه كذلك بخصائص أخرى لا توجد في غيره.
٢ - عموم النصوص الدالة على أن المكان كله يطلق عليه لفظ المسجد الحرام ومن أبرز هذه النصوص.

أ) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْلِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإن المعلوم أن القتال حرام داخل حدود الحرم كله وليس فقط داخل حدود بناء المسجد الحرام.
ب) قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ فإن المعلوم أن غير المسلمين ممنوعون من دخول مكة المكرمة بكاملها، وليس فقط من دخول مبني المسجد الحرام.

ج) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإن المعلوم أن من عليه فدية ارتكاب محظور من محظورات الإحرام إنما ينتقل من الفدية إلى صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى ديرة أهله (موطنه الأصلي) إذا لم يكن أهله من ساكني مكة المكرمة،

د) قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الإمام البخاري في صحيحه: "إن الله حرم مكة" فإن هذا الحديث الشريف يدل بعموم ظاهره على أن مكة كلها حرم حيث حرم الله عز وجل ارتكاب عدد من الأعمال داخلها، ليست محرمة في غيرها.

ه) أنه من الثابت شرعاً أن الشارع الحكيم هو الذى عيّن وحدد مواقع حدود (أعلام/ أنصاب) الحرم، وأن أحداً من العلماء لم يقل بأن مواضع هذه الأعلام كانت باجتهاد أحد من البشر، ولو أراد الشارع تضيق هذه المواضع، ووضعها عند جدران المسجد، لفعل ذلك، وإنما وسّع مواضعها لمزيد من فضل الله على عباده في الإثابة على الأعمال الصالحة داخلها.

أقوال العلماء في مضاعفة ثواب الأعمال الصالحة الأخرى غير الصلاة:
إذا فعل المقيم داخل حدود الحرم المكي الشريف أحد أعمال البر الأخرى مثل الصوم والصدقة وبر الوالدين وإغاثة الملهوف وغيرها من أعمال البر، فهل يضاعف الثواب له بقدر مضاعفة الثواب على الصلاة. اختلف أهل العلم في ذلك إلى فريقين:

(الفريق الأول) يرى أن المضاعفة لا تخص الصلاة وحدها بل تعم كافة أنواع البر والأعمال الصالحة، فكل عمل صالح يتم في الحرم المكي يثاب فاعله بمائة ألف ثواب على نظيره في أي مكان آخر غير الحرم وينسب هذا القول إلى مجاهد والحسن البصري والإمام أحمد والنووي وابن الجوزي ومحب الدين الطبري وغيرهم.

(الفريق الثاني) اختار التوقّف عن قياس أعمال البر على الصلاة في مضاعفة الثواب، فإن المضاعفة على الثواب في الصلاة تثبت بالنص، وهذا أمر توفيقى على المشرع، لا مجال

للعقل فيه، ولم ينقل أو يرد عن الشارع نص آخر يفيد المضاعفة على ثواب أعمال البر الأخرى^(١).

ويمكن التوفيق بين الفريقين بالقول بمضاعفة الثواب على كافة أعمال البر في مكة المكرمة لشرف المكان الذي صنعت فيه، ولكن بدون حد معلوم للمضاعفة كما هو الشأن في الصلاة التي ثبتت المضاعفة فيها بالنص بمائة ألف، فتكون الصلاة في مكة أفضل أعمال البر وعلى ذلك:

فإنه يستحب لمن يوجد داخل الحرم المكي الإكثار من أعمال البر المفروضة والتطوعية واغتنام وجوده داخل الحرم، يستوى في ذلك الرجال والنساء، المحرمون بالحج والعمرة وغير المحرمين بأيّهما، المواطنون وزوار الحرم.

المضاعفة على الصلاة في صلاة النوافل:

لا خلاف بين العلماء في أن صلاة الفريضة داخل مبني المسجد الحرام وساحاته المعدة للصلاة يضاعف ثوابها إلى مائة ألف، ويلحق بصلاة الفريضة في مضاعفة الثواب نوعان من النوافل هما:

١ - ركعتا سنة الطواف بالبيت الحرام، فإن رسول الله ﷺ قد صلاهما خلف مقام إبراهيم، وكذا ركعتا تحية المسجد الحرام لغير القادر على تحية البيت الحرام بالطواف لمرض أو شدة زحام أو اللحاق بالجماعة.

^(١) راجع: القرى لساكن أم القرى - محب الدين الطبري - ص ٦٥٨ وراجع: الإيضاح - النووي ص

٢- ما شرع صلاته في جماعة من النوافل مثل صلاة العيدين والخسوف والكسوف

والاستسقاء والتراويح (على قول جمهور الفقهاء في صلاة التراويح).

وإنما جري الخلاف بين العلماء في مضاعفة الثواب على صلاة النوافل خارج

ساحات ومبني المسجد الحرام، إلى حدود الحرم المكي حيث ورد عنهم

قولان:

(الأول) أن المضاعفة تعم الفريضة والنافلة معاً حيث لا حرج على فضل الله

(والثاني) أن المضاعفة خاصة بالفرائض المكتوبة فقط دون النوافل^(١).

المضاعفة في الأثم على ارتكاب المعاصي في دائرة الحرم المكي الشريف:

الأصل في الجزاء على المعاصي والسيئات هو أنه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا

مِثْلَهَا﴾ وأنه ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ وأنه ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) وأنه: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ

جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ وقد تواترت آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية المشرفة

على أن الجزاء على السيئة التي يتم ارتكابها بالفعل يكون بمثلها.

غير أن طائفة من العلماء قد أوردوا استثناء على هذا الأصل إذا ارتكبت السيئة داخل

الحرم المكي، حيث يرى هؤلاء العلماء أن ثواب الحسنات كما يضاعف داخل الحرم،

فكذلك جزاء السيئات يعظم ويشدد داخل الحرم، فإن عقوبة السيئات كما تُغلَّظ بالزمان

وبالأحوال، تُغلَّظ كذلك بحرمة المكان.

^(١) المجموع للنووي ج ٧ ص ٤٦٩، والفروع لابن مفلح ط ١ ص ٥٩٩.

وترى هذه الطائفة من العلماء أنه للخروج من مأزق مخالفة نصوص القرآن والسنة الدالة على أن الجزاء على السيئة يكون بمثلها، أن تغليظ الجزاء على ارتكاب السيئة في الحرم المكي يكون بالكيف لا بالكم والمقدار أي بتغليظ وتشديد العقوبة لا بتضعيف مقدار الجزاء، أي أن مضاعفة الجزاء تكون في حجمه وشدته وغلظته وليس في مقداره وعدده وكميته. والله المثل الأعلى في كل شيء، فإن العقوبة على المخالفات الإدارية تتدرج من لفت النظر إلى اللوم إلى الإنذار إلى الخصم من الراتب إلى العزل من الخدمة وذلك بحسب جسامة المخالفة وجميع هذه الدرجات تسمى عقوبة إدارية، فكذلك الحال في عذاب الله يتدرج في خفته وغلظته بحسب جسامة السيئات.

وترى طائفة أخرى من العلماء على أن الجزاء على السيئة التي ترتكب في الحرم المكي مماثل للجزاء على نفس السيئة التي ترتكب خارج الحرم، وذلك لما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: أن الله كتب الحسنات والسيئات.. فمن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة^(١).

وأكثر العلماء على أن من همّ بارتكاب سيئة في الحرم المكي الشريف ولم يعملها فإنه يعاقب على مجرد الهمّ بالارتكاب وذلك على خلاف سائر بقاع الدنيا التي لا يعاقب فيها على مجرد الهمّ، وممن قال بذلك: ابن مسعود والضحاك وأبي حنيفة وأحمد ورجحه ابن القيم، ويستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الآية ٢٥ الحج.

^(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٢٨ حديث رقم ٢٠١٧.

وقد جاء في بعض كتب التفسير تفسير الإلحاد في الآية السابقة بالشرك بالله، وباستحلال الحرام، وباحتكار الطعام في الأسواق، وبكافة المنكرات قال القرطبي في تفسيره^(١): الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى كافة الصغائر، وقال الشيخ ابن باز في مجموع الفتاوى: كلمة إلحاد تعم كل ميل إلى باطل سواء كان في العقيدة أو غيرها^(٢).

ثانياً: عدم جواز دخول غير المسلمين إلى الحرم وتحريم دفنهم في أرضه: هذا هو الحكم الثاني من الأحكام الخاصة بدائرة الحرم المكي الشريف، وهو ثابت بنص القرآن الكريم وبالسنة العملية، فإنه وقيل وقوف الناس على عرفة في السنة التاسعة من الهجرة نزلت على رسول الله ﷺ سورة براءة وتضمنت في الآية ٢٨ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وفور نزولها أرسل بها رسول الله ابن عمه علياً بن أبي طالب حيث لحق بوفد الحجاج وهم في طريقهم من المدينة إلى مكة تحت إمارة أبي بكر الصديق، وأذاع على مسامع الدنيا في جميع مواقع الحج في عرفة ومزدلفة ومنى أربعة أحكام نهائية هي:

- ١ - من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد إلى مدته.
- ٢ - من لم يكن بينه وبين رسول الله عهد فمدته أربعة أشهر ثم الخيار بين القتال وبين الإسلام.
- ٣ - لا يطوف بالبيت بعد العام عريان.
- ٤ - لا يطوف بالبيت بعد العام مشرك.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ج ١٦ ص ١٣٥.

وجمهور الفقهاء على منع جميع من خالف دين الإسلام من دخول الحرم المكي سواء للإقامة أو لمجرد المرور وهذا مذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد وجماهير الفقهاء عدا الإمام أبي حنيفة الذي أجاز المرور فيه ومنع استبطائه^(١) وجمهور الفقهاء كذلك على منع دفن أموات غير المسلمين في أرض الحرم المكي الشريف.

ثالثاً: التحريم المطلق لصيد البر في الحرم المكي وفرض الجزاء على فعله:

وهذا التحريم عام يشمل جميع الناس المحرمين بالحج وغير المحرمين به، أهل الحرم وغيرهم فإن الصيد بإجماع الفقهاء يحرمه الإحرام على المحرم بالحج أو بالعمرة، ويحرمه الحرم على الحلال غير المحرم بأي من النسكين. وعليه: فإنه لا يحل للمحرم ولا لغير المحرم أن يقصد شيئاً مما يؤكل من الصيد البري في الحرم، أو أثناء إحرامه، غير أن المحرم ينفرد عن الحلال بعدم جواز قبوله هبة صيد البر له أو شراؤه بعد صيده بخلاف غير المحرم، لعموم قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾^ط أما صيد البحر فإنه يباح للمحرم ولغير المحرم اصطياً وبيعه وشراؤه وأكله.

وأتفق الفقهاء على أن للمحرم أن يذبح من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) والدجاج الأنسية المستأنسة ما أحب من ذلك مما يملكه أو يأمره به مالكه، وهو محرم وفي الحرم ولا خلاف بين العلماء في أن من قتل صيداً برياً في الحرم فعليه الفدية والجزاء كفارة لفعله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ

^(١) المجموع للنووي ج ٧ ص ٤٥٤ والمبسوط للسرخسي ج ٤ ص ١٠٥.

مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿١٠﴾، كما أجمع الصحابة على أن الدَّالَّ
والمشير إلى الصيد من المحرمين يجب عليه الفدية والجزاء، إذا قتله المشار إليه
وهو محرم أو في الحرم، واتفق الفقهاء على أن قتل الصيد بمكة ومنى وسائر الحرم
سواء في وجوب الجزاء عليه^(١)

رابعاً: التحريم المطلق للقتال وحمل السلاح في الحرم:

^(١) الاستذكار لابن عبد البر - دار قتيبة للنشر - دمشق ج ١١ ص ٢٩٩ وما بعدها.

الدائرة الثالثة من دوائر الحرم المكي الشريف "دائرة المسجد الحرام"
إن ورد لفظ المسجد الحرام في خمسة عشر موضعاً من القرآن الكريم^(١) وفي أكثر من
موضع من أحاديث النبي محمد ﷺ، يشعر بأن للمسجد الحرام مكاناً معلوماً خاصاً
به داخل حدود الحرم المكي الشريف.

والذي نرجحه ونميل إليه هو أن هذا المكان يقع بين جبل أبي قبيس شرقاً وجبل عمر
غرباً، وجبل هندي شمالاً، ومنطقتي أجياد والمسفلة جنوباً.

ويمكننا تعريف المسجد الحرام بأنه: المكان المعد للصلاة الذي يبدأ من جدران الكعبة
المشرقة ويمتد في اتجاه أعلام وأنصاب الحرم مع اتصال الصفوف في أكبر صلاة جامعة
إلى مسافة انقطاع الصفوف أو تعذر متابعة الإمام في الصلاة ويستوى في هذا المكان ما
يلي:

- ١ - أن يكون له جدران يحيط به أو لا يكون.
- ٢ - أن يكون مسقوف أو غير مسقوف.
- ٣ - أن تتأخر الصفوف عن الإمام أو تتقدم عليه أو تكون في مواجهته.
- ٤ - أن يقف المصلون في مستوى الإمام أو أعلى منه أو أسفل منه.
- ٥ - أن يرى المصلون الإمام أو لا يروه مادام في مقدورهم متابعته ولو من خلال
مكبرات الصوت أو المبلّغين من خلفه.

^(١) في الآيات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧ من سورة البقرة وفي الآيات ٢ المائدة، ٣٤

الأنفال، ٧، ١٩، ٢٨ التوبة، ١ الإسراء، ٢٥ الحج، ٢٥، ٢٧ من سورة الفتح.

الأحكام الخاصة (بدائرة) المسجد الحرام:

١ - أنه قبله مساجد الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:

١٥٠] وذلك بما فيها المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة.

٢ - أنه يحرم قطعاً ونصّاً قطع الطريق على آتية وقاصديه وصدّهم عنه، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا

الْقُلُوبَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾.

٣ - الأصل في تحيته هو الطواف بالبيت إلا لعذر شدة زحام أو مرض فتكون تحيته

بصلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم إن تيسّر وإلا ففي أي مكان منه^(١).

٤ - انعقاد الإجماع على مضاعفة الثواب على الصلاة بداخله فريضة كانت أو نفلاً،

وكذا مضاعفة الثواب على كافة أعمال البرّ فيه.

٥ - جواز تقدم المأموم على الإمام في الصلاة بداخله مع عذر الزحام كما رجحه

شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

٦ - عدم وجوب تراص الصفوف خلف الإمام فقط وجواز تقابلها أو تجاورها.

٧ - تعدد جهة القبلة فيه بحسب موقع المصلّي من الكعبة (البيت الحرام) حيث

يتوجه المصلّي في أي مكان يقف فيه من المسجد الحرام إلى البيت الذي تحيط

به الكعبة فتتعدد بتعدد أماكن وقوف المصلّين جهات القبلة، وهذا حكم خاص

^(١) المجموع للنووي ج ٨ ص ١١، والروض المربع للبهوتي ج ٥ ص ٢٠٠٢.

^(٢) مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٣٧٤.

ينفرد به المسجد الحرام دون مساجد الدنيا كلها التي يتوجه المصلّون في كل مسجد منها إلى قبلة واحدة هي: شطر المسجد الحرام.

٨- جواز المرور بين يدي المصلّي داخل المسجد الحرام، فإنه لو صلى والناس يطوفون أمامه لم تكره صلاته ولا يكره المرور أمامه، سواء كان المار أمامه رجلاً أو امرأة لكن المصلّي لو وضع سترة أمامه لكان أول وأفضل.

٩- جواز صلاة الرجل خلف المرأة وبجانبيها عند شدة الزحام وعدم الخوف من الفتنة وإلا كره له ذلك.

١٠- جواز النوم في المسجد الحرام حتي وإن أحدث النائم، فإن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد سمي النائم فيه بالعاكفين.

١١- جعل تأمين كل من بداخل المسجد الحرام حكماً تكليفاً عاماً على جميع المسلمين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فيه آيتٌ بيّنتُ مقامُ إبراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمناً ووجه الدلالة من الآية هو: أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لم يرد على سبيل الخبر، وإنما ورد على سبيل الطلب (الإنشاء) والدليل على ذلك: أن الخبر في لغة القرآن هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، وأن أخبار المولى سبحانه وتعالى لا تحتمل إلا الصدق فقط، وهذا يتعارض مع المفهوم اللغوي للخبر.

ثم إن الآية لو كانت خبرية لكذبتها وقائع التاريخ، فإن التاريخ يحدثنا بوقوع عديد من مرات الاعتداء على أمن وأمان الحجاج والمعتمرين وقتلهم وهم يلوذون بالحرم واستار الكعبة، حدث هذا على يد الحجاج بن يوسف الثقفي

عندما قتل عبدالله بن الزبير وهو لائذ بأستار الكعبة، وحدث هذا على يد أبي طاهر القرمطي عام ٣١٦هـ عندما غزا المسجد الحرام وقتل مئات العائدين به داخله وردم بهم بئر زمزم ودفنهم دون غسل أو صلاة جنازة، وعطل أداء مناسك الحج والعمرة في هذا العام لاعتقاده بأن شعائر الحج من شعائر الجاهلية ومن قبيل عبادة الأصنام^(١)، وحدث هذا من عهد قريب على يد جهيمان العتيبي وجماعته.

واستصحاباً لهذه الوقائع التاريخية فإنه يلزم القول بأن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ عَامِيًا﴾ أنه قول ورد بصيغة الخبر ويراد به الإنشاء أي أنه أمر بتأمين كل من يدخل المسجد الحرام، ويكون المعني في الآية والله أعلم: "من دخل بيتي فأمنوه" فالتأمين هنا حكم تكليفي على سائر المسلمين. وبعد فإن هذه الأحكام الأحد عشر تعتبر من أبرز وأخص الأحكام المتعلقة بالمسجد الحرام.

المعالم والمواقع الدينية الواقعة داخل دائرة المسجد الحرام:

- ١- مقام إبراهيم.
- ٢- بئر زمزم.
- ٣- الصفا والمروة.
- ٤- مسقط رأس النبي محمد ﷺ. وفيما يلي تعريف موجز بكل موقع:

^(١) تاريخ الإسلام - شمس الدين الذهبي مجلد ٢٣.

أولاً: مقام إبراهيم: يطلق المقام في اللغة على عدد من المعاني من أهمها: موطن القيام - والمنزلة والمكانة بين القوم، موطن الإقامة، مكان إقامة الصلاة وقد أطلق الشارع الحكيم لفظة مقام إبراهيم على موضع قدمي إبراهيم خليل الله على الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها في بناء جدران الكعبة المشرفة ورفع القواعد من بيت الله الحرام. وعليه:

فإن مقام إبراهيم هو ذلك الحجر الصغير الذي لا تتجاوز مساحته شبراً ونصف طولاً وعرضاً والذي كان إبراهيم يقوم عليه عند ارتفاع بنيان جدران الكعبة، وينتقل عليه من جدار إلى آخر من نواحي جدران الكعبة، حتي كمل بناؤها والذي انطبعت عليه آثار قدمي إبراهيم (أصابع واخمص قدميه) ولا زالت آثار القدمين ظاهرة فيه يراها الناس على مر الزمان والعصور، ولولا مسح الناس بأيديهم عليها لكان غورانها في الحجر أعمق مما هو عليه الآن.

ويعتبر مقام إبراهيم أثراً إسلامياً عظيماً حفظه الله عز وجل طيلة ما مضى عليه من القرون من عهد إبراهيم إلى الآن وإلى قيام الساعة والذي لا يوجد مثله عند أي أمة من الأمم ليكون شاهداً على صدق ما جاء في القرآن الكريم عن بناء الكعبة وفريضة الحج.

وقد روي الترمذي في سننه في باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الركن والمقام

ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب".^(١)

وقد خص الله عز وجل الأمة الإسلامية بأثرين عظيمين هما: الحجر الأسود ومقام إبراهيم، وجعل الحجر الأسود مبدأ الطواف بالبيت الحرام ومنتهاه، وأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي أجعلوا المنطقة المحيطة به مصلى ومكانا لإقامة الصلاة فيه، أي صلّوا عنده أو إلى جواره.

ونحن لا نستطيع تحريم التبرك بمقام إبراهيم أو التمسح به واعتباره بدعة حيث لم يرد دليل على فعله أو على تركه، ولم ينقل في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ، ونوكل الأمر إلى نية الفاعل وإن كنا نميل إلى قياس تقبيله على تقبيل الحجر الأسود.

موضع المقام:

ذكر ابن كثير في تفسيره أن خليل الله إبراهيم لما فرغ من بناء الكعبة وضع هذا الحجر إلى جانب جدار الكعبة وتركه حيث أنهى عنده البناء^(٢)، وروي الأزرق في أخبار مكة أن المقام كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن، حتى جاء سيل جارف في خلافة عمر بن الخطاب فاحتمله من مكانه وجرفه إلى أسفل مكة، فأتى

^(١) سنن الترمذي - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطابع مصطفى الحلبي مصر ج ٣ ص ٢١٧ حديث رقم ٨٧٨.

^(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٩.

به فُرِبط إلى أستار الكعبة حتي قدم عمر فاستثبت في أمر موضعه، ووضع في مكانه الأول^(١) وأحاطه ببناء ولم ينكر عليه في ذلك أحد من الصحابة.

وقد جرت عادة سلاطين الدولة العثمانية على كسوة مقام إبراهيم بكسوة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب على شكل وهيئة كسوة الكعبة، حيث كانت هذه الكسوة توضع على التابوت الخشبي الذي يوضع فوقه حجر المقام واللذان يوضعان داخل مقصورة نحاسية مربعة الشكل وعليها قبة تحتل مساحة كبيرة إلى جوار الكعبة.

وفي تاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٨٤ أصدرت رابطة العالم الإسلامي قراراً بإبقاء المقام في مكانه وأن يجعل عليه صندوق بلّوري سميك على قدر الحاجة وبارتفاع مناسب يتسنى معه رؤية المقام ولا يعوق طواف الطائفين بالبيت.

وقد أصدر الملك فيصل رحمه الله أمره بتنفيذ هذا القرار، فصنع للمقام غطاء من البلور محاط بحاجز حديدي ووضع على قاعدة من الرخام تبلغ مساحتها ١٨٠ سم طولاً في ١٣٠ سم عرضاً وبارتفاع ٧٥ سم وتم ذلك في رجب ١٣٨٧ وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله تم تجديد غطاء مقام إبراهيم من النحاس المغطى بسرائح الذهب والكريستال والزجاج المزخرف وتم وضع غطاء من الزجاج البللوري القوى المقاوم للحرارة والكسر على المقام على شكل قبة، بحيث أصبح المقام آية بيّنة ومعلماً بارزاً من معالم المسجد الحرام فتحقق بذلك المراد من قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ﴾.

^(١) فتح الباري لابن حجر مجلد ٢ ص ١٠٤.

حكم الصلاة عند مقام إبراهيم:

عنون الإمام البخاري في صحيحه للباب رقم ٣٠ من كتاب الصلاة بعنوان: باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وروي تحت هذا الباب أربعة أحاديث (أولها) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

وفي شرحه لهذا الحديث يقول ابن حجر^(١): قوله: باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقع في روايتنا واتخذوا بكسر الخاء على الأمر، وهي إحدى القراءتين والأخرى بالفتح على الخبر، والأمر دال على الوجوب، لكن انعقد الإجماع على جواز الصلاة إلى جميع جهات الكعبة فدل على عدم التخصيص، وهذا بناء على أن المراد بمقام إبراهيم الحرم كله، والأول أصح. والمعنى في كلام ابن حجر هو:

١ - أنه نقل الخلاف بين العلماء في أمرين هما:

- أ) المراد بالمقام وهل هو الحجر الذي فيه أثر القدمين أو ما حول موضع الحجر من المسجد الحرام، وقد رجح ابن حجر أن المراد منه هو الحجر.
- ب) صيغة الفعل (واتخذوا) وهل هو فعل أمر، أم أنه فعل ماض، وقد ذكر ابن حجر في ذلك توجيهين أنه إن كان فعل أمر، فالأمر للوجوب وعليه تكون صلاة الركعتين خلف المقام واجبة، أما إن كان الفعل للماضي فإنه يكون

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - الدار العالمية للنشر - مجلد ٢ ص

للاخبار وقد رجح ابن حجر أنه للماضي لرجحان قراءة واتخذوا بفتح
الخاء لا بكسرهما ولانعقاد الإجماع بين علماء المسلمين على جواز
الصلاة في جميع أرجاء المسجد الحرام خلف المقام أو بعيدا عنه.
كما نقل ابن حجر الخلاف بين العلماء في معنى قوله تعالى: (مُصَلَّى)
حيث نقل في هذا الخلاف عدة روايات هي:
أ) مُصَلَّى: أي قَبْلَهُ، وهو قول الحسن البصري.
ب) مُصَلَّى: أي مُدْعَى يُدْعَى عنده (أي مكان للدعاء عنده بعد الطواف)
ولا يصح حمله على مكان الصلاة لأنه لا يصلى فيه بل عنده. وهو
قول مجاهد.

ثانياً: بُرُ زَمْزَم:

وهو الموقع أو المعلم أو الأثر الثاني الواقع داخل المسجد الحرام الذى لم ينضب ماؤه
منذ أن كان نبي الله إسماعيل بن خليل الله إبراهيم طفلاً رضيعاً إلى الآن وإلى قيام
الساعة إن شاء الله والذى ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم: أن ماءه طعام طعم وشفاء
سقم^(١) وأنه يستحب التَّضَلُّعُ منه (أي الروى به والشبع منه) وقد روي البخاري في
الحديث رقم ١٦٣٧ الذى جاء في باب (ما جاء في زمزم) عن عاصم عن الشعبي أن ابن
عباس رضي الله عنهما حدثه قال: سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم.

^(١) جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أنها طعام طعم، وزاد الطيالسي من الوجه الذى أخرجه منه
مسلم وشفاء سقم وفي المستدرک من حديث ابن عباس مرفوعاً "ماء زمزم لما شرب له" ورجاله
ثقات.

قصة بئر زمزم:

في أشهر الروايات عند علماء التاريخ الإسلامي أن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام صحب زوجته هاجر وولده إسماعيل من العراق إلي حيث مكان البيت الحرام بوحي من الله عز وجل وتركهما في هذا المكان وترك معهما قليل من الزاد والماء وقد كان إسماعيل في ذلك الوقت طفلاً رضيعاً، وعند انصراف إبراهيم راجعاً الى بلاد العراق توجه إلى الله بهذا الدعاء: "﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾" الآية ٣٧ من سورة إبراهيم وعندما نفذ مع ما عند هاجر أم إسماعيل من الماء وعطش إسماعيل وصرخ باكية من العطش، اتجهت هاجر إلى حيث جبل الصفا طالبة الماء أو المغيث من البشر، لكنها لم تجد، فاتجهت إلى الجهة المقابلة إلى جبل المروة باحثة عن الماء أو عن المغيث من البشر لكنها لم تجد شيئاً، فظلت تتردد بين الصفا والمروة سبع مرات، وإسماعيل يصرخ من الظمأ ويفحص برجليه في الأرض، فأنبع الله عز وجل جدول ماء من تحت قدمي إسماعيل، وعندما يئست هاجر من العثور على مغيث واشتد بها التعب عادت إلى ولدها فوجدت الماء ينساب من تحت قدميه فذهبت تحجره وتحيطه بالتراب حتي لا ينساح وهي تقول (زم زم) فمن هنا سميت هذه البئر (زمزم).

روي البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "يرحم الله أم إسماعيل، لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينا معينا".^(١)

^(١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣٣٦٢.

وفي رواية أخرى للبخاري: يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تفرق من الماء - لكانت زمزم عينا معينا^(١) (أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض) فكانت زمزم نعمة محصنة من الله عز وجل بغير عمل عامل، وسقيا لإسماعيل من ماء السماء أنبعاها الله لهاجر فعاش ولدها بها، وقد ذكر ابن حجر أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: تلك أمكم يا بني ماء السماء، وذلك لأن إسماعيل ولد هاجر وإبراهيم قد رُبِّي بماء زمزم وهي من ماء السماء، ولأن العرب هم ولد إسماعيل.

خصائص ماء زمزم: يمتاز ماء زمزم بخصائص فريدة منها:

- ١ - قدرته على إكساب غيره من الماء العادي خصائص ماء زمزم عند خلطه به.
- ٢ - أن بلوراته لا تشبه بلورات أنواع المياه العادية الأخرى.
- ٣ - قدرته على تقوية جهاز المناعة عند الإنسان وعلى علاجه من الأمراض العضوية والنفسية ولذا قال رسول الله ﷺ فيه إنه "شفاء من سقم".
- ٤ - أن ماءه لا ينضب أبداً حتى مع شدة جفاف المنطقة المحيطة به وإن طال به الزمن.
- ٥ - أن مصادر ماؤه ورافده غير معلومة.
- ٦ - ثبات نسب مكوناته من المعادن والأملاح والعناصر الأخرى.
- ٧ - أن ماءه لا يحتاج إلى معالجات كيميائية.
- ٨ - خلوقاع البئر وجوفه من كافة الفطريات والطحالب والطفيليات المغيرة لطعم ورائحة الماء.

^(١) صحيح البخاري حديث رقم ٣٣٦٤ - فتح الباري مجلد ٧ ص ٥٧٦، ص ٥٨٠.

٩ - عدم تغير طعم ماء زمزم أو خواصه وإن نقل إلى مشارق الأرض ومغاربها وقد روي الترمذي في سننه أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تحمل من ماء زمزم، وتُخبر أن رسول الله ﷺ كان يحملها^(١) وأخرج البيهقي والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يصبّ على المرضي ويسقيهم^(٢) (أي من ماء زمزم).

١٠ - أن ماء زمزم لما شرب له كما ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه، وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يشربه ويدعو الله بما يريد دينا ودنيا ويقول: اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء^(٣).

يقول ابن شهاب الدين الرملي في نهاية المحتاج: ويسنّ شرب ماء زمزم لأنها مباركة طعام طعم وشفاء سقم، ويسنّ أن يشربه المطلوب في الدنيا والآخرة، وأن يستقبل القبلة عند شربه وأن يتضلع منه وأن يقول عند شربه: اللهم إنه قد بلغني عن نبيك محمد ﷺ أنه قال: "ماء زمزم لما شرب له" وأنا أشربه لكذا - ويذكر ما يريد دينا ودنيا - اللهم فافعل بي".

١١ - كراهة استعماله في مواضع الامتهان له كغسل النجاسة والاستنجاء به وإزالة الخبث، وذلك عند الحنفية والمالكية^(٤) ويجزم المحب الطبري الشافعي في القرى لقاصد أم القرى بحرمة استعماله في مواضع الامتهان له، ويجوز

^(١) سنن الترمذي - كتاب الحج - باب رقم ١١٥ حديث رقم ٩٦٣.

^(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ١٦٩.

^(٣) نهاية المحتاج للرملي ج ٣ ص ٣٠٩.

^(٤) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ١٢٠ ومواهب الجليل للحطاب ج ٢ ص ٢٠٨.

الوضوء به والغسل منه للتبرد^(١) أو النظافة لا لرفع الجنابة، كما يجوز إعادة غسل الميت منه برشه على جسده بعد رفع الحدث الأكبر من الموت عنه.

موضع بئر زمزم:

تقع بئر زمزم على بُعد حوالي ٢١ متراً من الكعبة المشرفة (من الحجر الأسود) ويبلغ عمق البئر حوالي ٣٠ متراً، أما عمق مستوي الماء من فتحة البئر فهو على عمق ٤ متر تقريباً، ويبلغ عمق العروق أو العيون المغذية للبئر حوالي ١٣ متراً، أما موقع البئر من الصفا والمروة فإنه يقع في الشمال الغربي من الصفا، وفي الجنوب الغربي من المروة وهو أقرب كثيراً إلى الصفا منه إلى المروة شرقي الحجر الأسود وجنوبي موقع مقام إبراهيم.

وقد كان على البئر بناء (سقف) يغطيه ودرج يربط بينه وبين ساحة المطاف (صحن الكعبة) وقد هدم هذا السقف والدرج ما بين عامي ١٣٨١ - ١٣٨٨ لتوسعة المطاف ونقل مكان شرب ماء زمزم إلى قبو أسفل المطاف وفي عام ١٤٢٤ ألغت المملكة هذا القبو لتوسعة للمطاف.

أبنائي الطلاب، كنا قد اتفقنا من قبل على أن الحرم المكي الشريف يتكون من ست دوائر جغرافية متداخلة، وتحدثنا في المحاضرات السابقة عن الثلاث دوائر الأوسع من هذه الدوائر الست وهي دوائر: المواقيت المكانية للحج. ودوائر أعلام وأنصاب الحرم، ودائرة المسجد الحرام، كما تحدثنا عن أهم وأبرز المواقع والمعالم الأثرية

(١) الشرح الكبير لابن قدامة المطبوع مع المغني ج ١ ص ١٠، ١١.

الدينية والتاريخية الموجودة في كل دائرة من هذه الدوائر الثلاث وكذلك عن الأحكام الشرعية والفقهية الخاصة بكل دائرة والتي تميزها عن بقية الدوائر.

ونلتقي الآن إن شاء الله مع الثلاث دوائر المتبقية ومع معالمها الدينية وأحكامها الشرعية الخاصة بها، ونعني بهذه الدوائر الثلاث:

١ - دائرة المطاف.

٢ - دائرة الكعبة المشرفة.

٣ - دائرة البيت الحرام. ونقول:

أولاً: دائرة المطاف:

يقول علماء اللغة العربية: طاف حوله وبه طَوْفًا وطوفانا: دار وحام، وأطاف به: أي أحاط به، وطَّوف وتطَّوف به وحوله: أي طاف، والطائف هو من يدور ويحول حول المكان، والطواف هو: الدوران حول البيت الحرام، والطَّوَّاف: الكثير الطواف، والمطاف: موضع الطواف حول البيت الحرام، والمطوَّف: من مهنته أو حرفته إرشاد الحجاج والمعتمرين إلى ما يتعلق بمناسك الحج والعمرة.

وقد ورد ذكر الطواف حول البيت الحرام والصفاء والمروة في أربع آيات من القرآن الكريم هي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ الآية ١٥٨ البقرة.

٢ - قوله سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ٢٩ الحج.

٣- قوله عز وجل: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ ١٢٥ البقرة.

٤- وقوله سبحانه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ السجود ٢٦ الحج.

وإذا اقترن الطواف بالبيت الحرام أو بالكعبة المشرفة كان المقصود به: دوران الحاج أو المعتمر على هيئة مخصوصة لسبعة أشواط متتالية في مسارات دائرية من اليسار إلى اليمين حول البيت الحرام بحسب القواعد التي رفعها خليل الله إبراهيم من البيت والمعروفة بالكعبة المشرفة، والطواف قد يكون طواف ركن (فرض) إذا كان طواف إفاضة في الحج، أو كان طواف عمرة، وقد يكون طواف نفل أو سنة إذا كان تحية للمسجد الحرام، بديلاً عن صلاة ركعتي تحية المسجد حيث يُستغني به عن الركعتين.

تعريف المطاف:

المطاف في اللغة هو: موضع الطواف حول البيت الحرام أما في الاصطلاح فالراجح عندنا أنه: الدائرة المحيطة بالقواعد التي رفعها خليل الله إبراهيم المحددة لحدود البيت الحرام المعروفة باسم الكعبة المشرفة بما فيها المبنى المقام حالياً للكعبة وحجر إسماعيل والشاذروان الملاصق لجدار الكعبة والتي تمتد في اتجاه أعلام الحرم إلى المسافة التي يتعذر منها رؤية الكعبة المشرفة ويستوي فيها أن تكون منخفضة عن بناء الكعبة أو في مستواه الأفقي أو أعلى من البناء، فإن الراجح لدينا أن البيت الحرام عبارة عن عامود يمتد من أعلى عليين في السماء من تحت البيت المعمور إلى أسفل نقطة في جوف الأرض يمكن أن يصل إليها الإنسان بدليل أن المسلم لو وجد على سطح القمر

أو على أي سطح لأي كوكب آخر من كواكب المجموعة الشمسية لا تسقط عنه الصلاة لانعدام وجود القبلة، فإن القبلة هي هذا العامود الافتراضي وبالمثل إذا كان في غواصة في أعماق المحيط. وعليه.

فإن الذي يحدد حدود المطاف هو مدي إمكانية رؤية الكعبة، فإذا انعدمت الرؤية انتهت حدود المطاف حتي لو كان الطواف واقعا داخل المسجد الحرام.

أحكام دائرة المطاف:

- (١) أنه موضع لأداء ركن الحج أو العمرة الرئيسي.
- (٢) أنه يلزم طهارة كل من وجد بداخله من الحدث والخبث إلا المرأة الحائض والنفساء إذا اضطرت إلى طواف الركن أو طواف الوداع لضرورة السفر على بلدها مع رفقتها فإن لها التواجد في دائرة المطاف لهذا العذر مع ضرورة أخذها للحيطه والحذر من تلويث أرض المطاف بدم الحيض والنفاس، وإنما تلزم الطهارة داخله من الحدث والخبث لأن الاشتغال به يعتبر صلاة ومن لوازم الصلاة الطهارة من الحدث والخبث.

- (٣) أن دائرة المطاف تدور حول البيت الحرام وليس حول الكعبة المشرفة بدليل أن الطواف لا يصح ولا يجزئ إذا اخترق الطائف حجر إسماعيل أو وضع يده أعلى السور المحيط بالحجر أو على الشاذروان أو مشي فوقهما.

أحكام الطواف بالبيت الحرام:

- (١) الطواف في عرف الفقهاء والمحدثين طوافان: طواف بين الصفا والمروة ويطلق عليه السعي تمييزاً له عن الطواف بالبيت، لكن القرآن الكريم قد سمّاه طوافاً.

(٢) جواز الطواف مشياً وسعيًا وركوبًا على راحلة أو على عربة متحركة أو أية آلة

أخري لا تؤذي الطائفين الآخرين، إذا كان الركوب لعذر.

(٣) الطواف بالبيت ركن من أركان الحج والعمرة، أما طواف الوداع فواجب.

(٤) أنه يبدأ وينتهي في كل شوط من أشواطه السبعة بالحجر الأسود.

(٥) أنه مكفّر للذنوب والخطايا، روي الترمذي بسنده عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من طاف بالبيت خمسين مرة، خرج من ذنوبه

كيوم ولدته أمه^(١).

(٦) أنه مندوب إليه في جميع ساعات النهار والليل، ولا بأس به ولا حرج منه بعد

صلاقي الصبح والعصر عند الشافعي وأحمد لما رواه الترمذي عن جبير بن

مطعم أن النبي ﷺ قال: يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت

وصلي أية ساعة شاء من ليل أو نهار^(٢).

(٧) كراهية الطواف بالبيت عُريانا كراهية تحريم لا تنزيه.

(٨) حرمة طواف المشركين والكافرين واللادينيين بالبيت الحرام.

(٩) اختلاف العلماء في الترجيح بين الطواف بالبيت وبين صلاة النافلة حيث ذهب

الإمامان أبو حنيفة ومالك إلى أفضلية الطواف بالنسبة للآفاقين أما المكيين

فالصلاة بالنسبة لهم أفضل لوجود البيت الحرام بين ظهرانيهم وقدرتهم على

الطواف في كل حين.

^(١) سنن الترمذي باب ما جاء في فضل الطواف حديث رقم ٨٦٦.

^(٢) سنن الترمذي ٨٦٨.

وذهب الإمام الشافعي إلى أن جنس الصلاة أفضل من الطواف للجميع وذهب

الإمام أحمد إلى أن الطواف أفضل من صلاة النافلة بصفة مطلقة.

(١٠) استحباب عدة أمور في الطواف منها:

أ) الاضطباع بالنسبة للحاج أو المعتمر.

ب) استلام الحجر الأسود أو الإشارة إليه كلما مر به من كل شوط وتقيله

كلما أمكن ذلك تعظيماً له.

ج) الدعاء بالمأثور من الأدعية وإلا فبأي دعاء يخرج من القلب.

دائرة الكعبة المشرفة:

وهي الدائرة الخامسة من دوائر الحرم المكي الشريف .

الكعبة المشرفة هي: مكين لمكان البيت الحرام أي علامات وحدود محددة لمكان

البيت الحرام، فإن الله سبحانه وتعالى قد بوأ لإبراهيم الخليل عليه السلام قواعد البيت

وأسسه وأصوله التي وضعتها الملائكة والتي كان الطوفان في زمن نوح عليه السلام قد

أخفاها وطمسها، وذلك حتي يعيد إبراهيم وولده إسماعيل رفعها وبناءها على نفس

القواعد التي وضعتها الملائكة بأمر من الله عز وجل حتي يأنس آدم بالطواف بعد أن حرم

من الطواف مع الملائكة بالبيت المعمور على أثر هبوطه على الأرض لعمارتها، فكانت

الكعبة المشرفة هي تلك الجدران المحيطة بالبيت والمحددة لحدوده، والتي رفعها

إبراهيم فوق القواعد الموضوعة قبل وجوده. وإلى هذا تشير الآيات الكريمة:

(١) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٩٦) بيت الآية ٩٦ آل عمران، فإن الفعل الماضي (وضع) المبني

للمجهول يشير إلى أن فاعل الوضع (البناء) من البشر مجهول، وأرجح الأقوال فيه أنه الملائكة وقيل: آدم عليه السلام.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الآية ٢٦ الحج أي أريناه أصله وكشفنا له عن مكانه كي يعيد بناءه بعد أن جرف الطوفان جدراناه.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ الآية ١٢٧ البقرة، حيث تشير هذه الآية إلى أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم يضعاً أسس وقواعد البيت، بل رفعاً هذه القواعد والأسس التي كانت موضوعة قبلهما ومجموع هذه الآيات يدل على عدة حقائق من أهمها:

- (١) أن موضع البيت الحرام لم يحدده أحد من البشر.
- (٢) أن الذي وضع أسس وقواعد البيت الحرام ليس من البشر ولا يمكن معرفته يقيناً.

- (٣) أن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة المشرفة كان قاصراً على مجرد رفع جدرانها على القواعد والأسس الموضوعة لها من قبل.
- (٤) أن الكعبة المشرفة عبارة عن جدران محيطة ومحددة لحدود البيت الحرام.

معلومات أساسية عن الكعبة المشرفة:

- ١- ارتفاع الكعبة ١٤ متر.
- ٢- ارتفاع باب الكعبة عن الأرض ٢, ٢٥ متر.
- ٣- ارتفاع باب الكعبة (طوله) ١٠, ٣ متر.

- ٤- ارتفاع الحجر الأسود عن الأرض ١٠, ١ متر في الركن الجنوبي يسار باب الكعبة.
- ٥- ارتفاع جدران الحطيم (حجر إسماعيل) ٣٢, ١ متر.
- ٦- طول الكعبة من الملتزم إلى الحطيم ٨٤, ١٢ متر.
- ٧- طول الكعبة من جهة الحطيم إلى الركن الشامي ٢٨, ١١ متر.
- ٨- طول الكعبة بين الركن اليماني والحطيم ١١, ١٢ متر.
- ٩- طول الكعبة بين الركن اليماني وركن الحجر الأسود ٥٢, ١١ متر.
- ١٠- المحيط الخارجي لجدار الحطيم ٥٧, ٢١ متر.

أهم معالم الكعبة المشرفة:

- ١- الحجر الأسود.
- ٢- باب الكعبة.
- ٣- الميزاب (المزrab).
- ٤- الشاذروان.
- ٥- حجر إسماعيل (الحطيم).
- ٦- الملتزم.
- ٧- ركن الحجر الأسود.
- ٨- الركن اليماني.
- ٩- الركن الشامي.
- ١٠- الركن العراقي.

عدد مرات بناء الكعبة المتفق عليها بين العلماء والمؤرخين:

- ١ - بناء إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام.
- ٢ - بناء قبيلة قريش في الجاهلية قبيل البعثة وقد حضر محمد بن عبد الله هذا البناء.
- ٣ - بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في آخر سنة ٦٤ هـ.
- ٤ - بناء الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٤ هـ.

عدد مرات بناء الكعبة المختلف حولها بين العلماء والمؤرخين:

- ١ - بناء الملائكة قبل آدم.
- ٢ - بناء آدم عليه السلام.
- ٣ - بناء شيث بن آدم.
- ٤ - بناء العمالقة.
- ٥ - بناء قبيلة جرهم اليمنية.
- ٦ - بناء قصي بن كلاب.

أبرز الأحداث التاريخية التي مرت بها الكعبة المشرفة:

- ١ - حضور أبرهة الحبشي بجيش جرّار بصحبة الفيل لهدم الكعبة عام مولد رسول الله، وهلاك هذا الجيش بالطير الأبايل التي قذفت الجيش بحجارة من سجّيل وتركته بالعصف المأكول.
- ٢ - إخراج قبيلة قريش لحجر إسماعيل (الحطيم) من جملة مساحة البيت الحرام التي بوّأها الله عز وجل وكشف عنها لخليله إبراهيم والتي رفع إبراهيم جدران الكعبة فوق القواعد الموضوعة من قبل.

- ٣- إعادة عبد الله بن الزبير لبناء الكعبة على القواعد التي رفع إبراهيم البناء فوقها بإدخال حجر إسماعيل في البناء وجعل بابين للكعبة (شرقي وغربي) ملتصقين بالأرض وكان ذلك سنة ٦٤ هـ.
- ٤- إعادة الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان لبناء قريش بهدم بناء عبد الله بن الزبير وإخراج حجر إسماعيل من البناء وإغلاق أحد البابين ورفع الآخر عن الأرض بأكثر من مترين سنة ٧٤ هـ.
- ٥- غزو القرامطة لمكة المكرمة وانتهاكهم لحرمة المسجد الحرام سنة ٣١٦ هـ وانتزاع الحجر الأسود من مكانه وحمله إلى ديارهم واحتفاظهم به لبضع عشرة سنة ثم إعادتهم له بعدما أصابهم من البلاء العظيم سنة ٣٢٧ هـ.
- ٦- سقوط الجدار الشامي (الركن الشمالي للكعبة) على أثر سيل عظيم وتوقف الحج والعمرة وتجديد السلطان العثماني مراد خان الرابع لبناء الكعبة سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٢٩ م وهو البناء الموجود حالياً.